مَنَاهِجُ الْدَّعْوَةِ مِنْ خِلاَلِ كِتَابَاتِ الْسِّيْرَةِ الْمُعَاصِرَةِ

إعْدَادُ:
د. عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَسَنِ الْعطَيْف
أُسْتَاذُ الحَدِيْثِ المُشَارِكِ بِجَامِعَةِ المَلِكِ خَالِدٍ/كُلِّيَّةُ الشَّرِيْعَةِ وَأُصُوْلِ الدِّيْنِ
قِسْمُ السُّنَّةِ وَعُلُوْمِهَا
1439هـ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ

الْمُقَدِّمَةُ:

إِنَّ الحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِيْنُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوْذُ بِاللهِ مِن شُرورِ أَنْفُسِنَا، وَمِن سَيئاتِ أَعْمَالِنَا، مَن يَهْدِهِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمن يُضْلِلْ فلا هَاديَ لَهُ، وَأَشْهدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَلاَ شَكَّ أَنَّ الْمَصْدَرَ الْتَّشْرِيْعِي الْثَّانِي بَعْدَ الْقُرْآنِ هِيَ الْسُّنَّةُ الْنَّبَوِيَّةُ، مِنْ هُنَا كَانَتْ الْسِّيْرَةُ الْنَّبَوِيَّةُ - وَالَّتِي تُمَثِّلُ الْجُزْءَ الْكَبِيْرَ مِنَ الْسُّنَّةِ الْنَّبَوِيَّةِ الْمُبَارَكَةِ - مِنْ أَهَمِّ الْمَصَادِرِ الأَسَاسِيَّةِ فِي الْدَّعْوَةِ الإِسْلاَمِيَّةِ الْعَمَلِيَّةِ، فَفِي ثَنَايَاهَا يَجِدُ الْدَّاعِيَةُ الْتَّطْبِيْقَاتِ الْعَمَلِيَّةِ لِمَرَاحِلَ الْدَّعْوَةِ الْمُخْتَلِفَةِ، كَمَا يَجِدُ الْطَّرَائِقَ الْمُتَنَوِّعَةِ الَّتِي يَسْلُكُهَا الْدُّعَاةُ إِلَى اللهِ مِنْ أَجْلِ نَشْرِ الْدَّعْوَةِ وَالْتَّعْرِيْفِ بِهَا.

وَقَدْ تَعَدَّدَ تَنَاوُلُ الْسِّيْرَةِ الْنَّبَوِيَّةِ – تَدْوِيْنًا وَدِرَاسَةً وَتَحْلِيْلاً – بِالأَحْوَالِ وَالْمَرَاحِلِ الَّتِي عَاشَتْهَا الأُمَّةُ، وَمَرَّ بِهَا كُتَّابُ الْسِّيَرِ.

بِالْتَّالِي نَجِدُ كَثِيْرًا مِنَ الْكِتَابَاتِ الْمُعَاصِرَةِ لِلْسِّيْرَةِ أَسْهَمَتْ فِي تَشْكِيْلِ وَبِنَاءِ مَنَاهِجَ دَعَوِيَّةٍ مُتَنَوِّعَةٍ، نِتَاجُهَا الْوَاقِعُ الْمُعَاصِرُ بِمَا يَحْمِلُ مِنْ مُتَغَيِّرَاتٍ وَأَحْدَاثٍ مُتَسَارِعَةٍ.

وَيَجِبُ أَنْ نُدْرِكْ بِشَفَافِيَّةٍ عَالِيَةٍ أَنَّهُ بِمِقْدَارِ مَا سَاعَدَتْ هَذِهِ الْمَنَاهِجُ عَلَى الْنُّهُوْضِ بِالْعَمَلِيَّةِ الْدَّعَوِيَّةِ وَحُسْنِ عَرْضِهَا وَتَقْدِيْمِهَا لِلْنَّاسِ، وَأَعَانَتْ فِي إِعْدَادِ الْدُّعَاةِ وَبِنَاءِ شَخْصِيَّتِهِمْ الْمُتَمَسِّكَةِ بِالْمَنْهَجِ الْنَّبَوِيِّ قَوْلاً وَفِعْلاً، كَمَا حَفِظَتْ الْدَّعْوَةِ وَالْدُّعَاةِ مِنْ بَعْضِ الانْحِرَافَاتِ الْفِكْرِيَّةِ، إِلاَّ أَنَّ بَعْضَ هَذِهِ الْكِتَابَاتِ الْمُعَاصِرَةِ لِلْسِّيْرَةِ لَمْ تُوَفَّقْ فِي رَسْمِ الْصُّوْرَةِ الْكَامِلَةِ لِلْدَّعْوَةِ وَجَمَالِهَا وَحُسْنِ تَبْلِيْغِهَا لِلْنَّاسِ، فَضَيَّقَتْ فِيْمَا يَحْتَمِلُ الْتَّوْسِيْعَ، وَتَشَدَّدَتْ فِيْمَا أَصْلُهُ الْتَّيْسِيْرَ؛ مِمَّا أَضَرَّ بِالْدَّعْوَةِ أَكْثَرَ مِنْ نَفْعِهَا.

وَمِنْ أَهَمِّ هَذِهِ الْمَنَاهِجِ الْدَّعَوِيَّةِ، الَّتِي سَاهَمَتْ كِتَابَاتِ الْسِّيْرَةِ الْمُعَاصِرَةِ فِي بَيَانِهَا، وَانْتِشَارِهَا فِي مُحِيْطِ الْدَّعْوَةِ الْحَدِيْثَةِ: الْمَنْهَجُ الْدَّعَوِيّ الْتَّرْبَوِيّ، وَالْمَنْهَجُ الْدَّعَوِيّ الْشُّمُوْلِيّ، وَالْمَنْهَجُ الْدَّعَوِيّ الاسْتِيْعَابِيّ، وَالْمَنْهَجُ الْدَّعَوِيّ الْتَّخْطِيْطِيّ، وَالْمَنْهَجُ الْدَّعَوِيّ الْتَّخَصُّصِيّ، وَالْمَنْهَجُ الْدَّعَوِيّ الْسِّلْمِيّ.

فَمَا هِيَ طَبِيْعَةُ كُلِّ مَنْهَجٍ؟ وَمَا مَفْهُوْمُهُ؟ وَمَا وَاقِعُهُ الَّذِي يَعِيْشُهُ؟ وَمَاهِيَ أَبْرَزُ كِتَابَاتِ وَكُتَّابُ الْسِّيْرَةِ فِيْهِ.

وَلَقَد جَاءَ هَذَا البَحْثُ عَلَى النَّحْوِ التَّالِي:

الْمَطْلَبُ الأَوَّلُ: الْمَنْهَجُ الْدَّعَوِيّ الْتَّرْبَوِيّ
الْمَطْلَبُ الْثَّانِي: الْمَنْهَجُ الْدَّعَوِيّ الْشُّمُوْلِيّ
الْمَطْلَبُ الْثَّالِثُ: الْمَنْهَجُ الْدَّعَوِيّ الاسْتِيْعَابِيّ
الْمَطْلَبُ الْرَّابِعُ: الْمَنْهَجُ الْدَّعَوِيّ الْتَّخْطِيْطِيّ
الْمَطْلَبُ الْخَامِسُ: الْمَنْهَجُ الْدَّعَوِيّ الْتَّخَصُّصِيّ
الْمَطْلَبُ الْسَّادِسُ: الْمَنْهَجُ الْدَّعَوِيّ الْسِّلْمِيّ

الخَاتِمَةُ، فِهْرِسُ الْمَرَاجِعِ، وفِهْرِسِ الْمَوْضُوْعَاتِ.

هَذَا وَإِنَّنِي لاَ أَدَّعِي الْكَمَالَ فِي عَمَلِي هَذَا، وَإِنَّمَا هُوَ جُهْدُ الْمُقِلِّ لاَ دعوَى الْمُسْتَقِلِّ، أَلْتَمِسُ الحَقَّ وَأَرْفَعُ بِهِ رَأْسًا، فَمَا كَانَ مِن صَوَابٍ فَمِنَ اللهِ وَحْدَهُ، فَلَهُ الحَمْدُ وَالشُّكرُ، وَمَا كانَ منْ خَطَأٍ أوْ خَلَلٍ، فَهُوَ مِنِّي وَمِنَ الشَّيْطَانِ، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ تعالَى مِن ذَلِكَ وَأَتُوْبُ إِلَيْهِ.

وَصَلَّ اللهُم وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِيْنَ.

وَكَتَبَهُ : د/ أَبُو مُحَمَّدٍ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَسَنِ زُمَلُ الْعُطَيْفُ
جَامِعَةُ المَلِكِ خَالِدٍ/كُلِّيَّةِ الشَّرِيْعَةِ وَأُصُولِ الدِّيْنِ

مَنَاهِجُ الْدَّعْوَةِ مِنْ خِلاَلِ كِتَابَاتِ الْسِّيْرَةِ الْمُعَاصِرَةِ.

مِنَ الأُمُوْرِ الْبَدَهِيَّةِ عِنْدَ الْمُسْلِمِيْنَ عَامَّتُهُمْ وَخَاصَّتُهُمْ أَنَّ مُحَمَّدًا ρ هُوَ الْقُدْوَةُ وَالأُسْوَةُ لِكُلِّ مُسْلِمٍ، وَلِذَلِكَ فَسِيْرَتُهُ مَحَلَّ عِنَايَتِهِمْ وَاهْتِمَامِهِمْ مُنْذُ صَدْرِ الإِسْلاَمِ وَإِلَى عَصْرِنَا الآنَ، وَهِيَ جَدِيْرَةٌ بِمَزِيْدِ الْعِنَايَةِ وَحُسْنِ الْعِلْمِ بِهَا وَالْفَهْمِ لِدَقِيْقِهَا وَجَلِيْلِهَا، وَرَصْدِهَا وَتَدْوِيْنِهَا ثُمَّ تَطْبِيْقِهَا بِقَدْرِ الْطَّاقَةِ وَالْوِسْعِ.

وَمُتَابَعَتُهُ ρ عَلاَمَةُ مَحَبَّةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَطَرِيْقُ مَرْضَاتِهِ تَعَالَى. قَالَ سُبْحَانَهُ: چ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ چ[1].

وَإِنَّ مِنْ أَحَقِّ النَّاسِ بِحُسْنِ الْمُتَابَعَةِ وَصِدْقِ الْتَّأَسِّي بِهِ ρ أُوْلَئِكَ الْقَائِمُوْنَ بِرِسَالَتِهِ مِنَ الْدُّعَاةِ إِلَى دِيْنِ اللهِ، فَهُمْ لَيْسُوْا مُجَرَّدَ اتْبَاعٍ فَحَسْبُ – وَإِنْ كَانَ الأَتْبَاعُ مُطَالَبُوْنَ بِالاقْتِدَاءِ وَالْتَّأَسِّي كَذَلِكَ - لَكِنَّهُمْ وَرَثَتُهُ ρ فِيْمَا ابْتَعَثَهُ اللهُ تَعَالَى لِأَجْلِهِ وَأَمَرَهُ بِهِ؛ وَهُوَ الْدَّعْوَةُ إِلَى دِيْنِ اللهِ: چ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ چ[2].

وَهُمْ أَتْبَاعُهُ وَوَرَثَتُهُ فِي إِخْرَاجِ النَّاسِ مِنَ الْظُّلُمَاتِ إِلَى الْنُّوْرِ: چ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى چ[3].

وَهُمُ الْمُحَقِّقُوْنَ لِخَيْرِيَّةِ هَذِهِ الأُمَّةِ بِالأَمْرِ بِالمَعْرُوْفِ وَالْنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ: چ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ چ[4].

وَلِذَلِكَ كَانَ مِنَ الأَهَمِّيَّةِ بِمَكَانٍ مَعْرِفَةُ سِيْرَتِهِ ρ مِنْ مَنْظُوْرٍ دَعَوِيٍّ يُتَعَمَّقُ فِيْهَا بِالْنَّظَرِ وَالْدِّرَاسَةِ وَالاسْتِنْبَاطِ لِجَوَانِبِ دَعْوِيَّةٍ مُتَعَدِّدَةٍ ؛ تُمَثِّلُ فِي مَجْمُوْعِهَا اسْتِجْلاَءِ مِنْهَاجِ الْنُّبُوَّةِ فِي سِيْرَتِهِ ρ فَهُوَ الْمَثَلُ الَّذِي يُحْتَذَى وَيُقْتَدَى بِهِ.

وَالْدَّاعِيَةُ يَحْتَاجُ إِلَى مَعْرِفَةِ مَا فِي سِيْرَةِ الْقُدْوَةِ وَالأُسْوَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ρ مِنْ أَحْوَالٍ وَمَوَاقِفَ؛ لِتَكُوْنَ دَعْوَتَهُ عَلَى بَصِيْرَةٍ ؛ كَمَا هِيَ دَعْوَةُ الْقُدْوَةِ وَالأُسْوَةِ سَيِّدِ الْدُّعَاةِ وَإِمَامِ الْمُرْسَلِيْنَ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلاَمُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِيْنَ.

وَيَتَّضِحُ مِنْ خِلاَلِ المَبْحَثِ الْسَّابِقِ تَبَيَانُ وَاخْتِلاَفُ كِتَابَاتِ الْسِّيْرَةِ المُعَاصِرَةِ، وَتَمَثُّعِهَا بِتَنَوُّعٍ فِي طُرُقِ الْعَرْضِ وَالْتَّنَاوُلِ، وَفِي الْصِّيَاغَةِ، وَالْفِكْرِ، وَالْتَّجْدِيْدِ.

وَفِي الْحَقِيْقَةِ أَنَّ الْمُسْتَقِيْدَ الأَكْبَرَ مِنْ هَذِهِ الْبَاقَةِ الْمُتَنَوِّعَةِ هِيَ الْدَّعْوَةُ الإِسْلاَمِيَّةُ، لِأَنَّ الْدَّعْوَةَ الإِسْلاَمِيَّةَ الْنَّاجِحَةَ، لاَ يُمْكِنُ أَنْ تَخْطُوْ قُدُمًا فِي عَالَمِ الْوَاقِعِ وَالْتَّجْرُبَةِ، بِدُوْنِ اصْطِحَابٍ لِأَحْدَاثِ الْسِّيْرَةِ الْعَطِرَةِ، فَهْمًا وَاعْتِقَادًا، وَعَمَلاً وَتَطْبِيْقًا.

مِنْ هُنَا بَدَأَتِ الْدَّعْوَةُ الْمُعَاصِرَةُ تَرْسُمُ مِنْاهَجَهَا، وَتَضَعُ أَهْدَافَهَا، وَتَتَّقِي وَسَائِلَهَا، وَتَفْهَمُ وَاقِعَهَا، وَتُخَطِّطُ لِمُسْتَقْبَلِهَا.

وَفِي هَذَا الْبَحْثِ، أُحَاوِلُ أَنْ أُسَلِّطَ الْضَّوْءَ عَلَى بَعْضِ أَهَمِّ هَذِهِ الْمَنْهَجِيَّاتِ الْدَّعَوِيَّةِ، الَّتِي سَاهَمَتْ كِتَابَاتُ الْسِّيْرَةِ الْمُعَاصِرَةِ فِي إِنْتَاجِهَا، أَوْ دَعْمِهَا فِي مُحِيْطِ الْدَّعْوَةِ الْحَدِيْثَةِ.

([1]) سورة آل عمران، الآية: 31 - 32.
(2) سورة يوسف، الآية 108.
(3) سورة الحديد، الآية 9.
(4) سورة آل عمران، الآية: 110.

الْمَطْلَبُ الأَوَّلُ: الْمَنْهَجُ الدَّعَوِيّ التَّرْبَوِيّ

الْتَّرْبِيَةُ الْدَّعَوِيَّةُ هِيَ: الْصِّيَاغَةُ الْقَوِيْمَةُ لِلْمُسْلِمِ، الْمُعْتَمِدَةُ عَلَى الْوَحْيِ وَالْسِّيْرَةِ وَغَيْرِهِمَا مِنَ الْمَعَارِفِ الْمُسْتَنْبَطَةِ مِنْهُمَا، وَمَا يَدُلاَّنِ عَلَيْهِ مِنْ هِدَايَاتٍ مَنْهَجِيَّةٍ، وَبَصَائِرَ تَرْبَوِيَّةٍ وَدَعَوِيَّةٍ، وَمَقَاصِدَ مَرْعِيَّةٍ، سَوَاءٌ مِنْ حَيْثُ الْمَنْهَجِ أَوْ مِنْ حَيْثُ الأَدَوَاتِ وَالْوَسَائِلِ.

وَتَهْدِفُ هَذِهِ الْصِّيَاغَةُ إِلَى إِشْعَارِ الْمُسْلِمِ بِالْمَسْؤُوْلِيَّةِ اتِّجَاهَ دِيْنِهِ وَأُمَّتِهِ، وَبَثِّ رُوْحِ الْتَّضْحِيَةِ فِيْهِ مِنْ أَجْلِ الْنُّهُوْضِ بِأَمَانَتِهِ وَرِسَالَتِهِ الْدَّعَوِيَّةِ، وَتَزْوِيْدِهِ بِمَا يَلْزَمُ لِذَلِكَ مِنَ الْقِيَمِ الإِيْمَانِيَّةِ وَالْتَّرْبَوِيَّةِ، وَمِنْ عِلْمٍ وَفِقْهٍ بِالْدِّيْنِ وَالْدَّعْوَةِ وَالْوَاقِعِ وَالْتَّنْزِيْلِ.

مِنْ هُنَا بَدَأَتْ جُهُوْدُ بَعْضِ الْكُتَّابِ الْمُعَاصِرِيْنَ وَاضِحَةً وَدَقِيْقَةً فِي تَقْعِيْدِ أُصُوْلِ وَمَبَادِئِ الْدَّعْوَةِ الْحَدِيْثَةِ، مِمَّا يُؤَهِّلُ سَفِيْنَةَ الْدَّعْوَةِ لِتَمْخُرَ فِي أَمْوَاجٍ مُتَتَابِعَةٍ مِنَ الْتَّأْهِيْلِ وَالْتَّطْوِيْرِ الْشَّامِلِ عِنْدَ الْدَّاعِي وَالْمَدْعُوْ، لِتُعِيْنَ عَلَى الْتَّطْبِيْقِ الْعَمَلِيّ، وَتَحْقِيْقَ الْتَّرْبِيَةِ فِي صُوَرِهَا الْمُتَنَوِّعَةِ.

وَالْدَّاعِيَةُ فِي زَحْمَةِ الْهُمُوْمِ الْدَّعَوِيَّةِ وَالْمَشَاغِلِ الْيَوْمِيَّةِ قَدْ يَهْتَمّ بِالآخِرِيْنَ لَكِنَّهُ قَدْ يَنْسَى نَفْسَهُ، وَيَغْفَلُ عَنْ تَرْبِيَتِهَا عَلَى الْخَيْرِ وَالْهُدَى، وَهُنَا تَحْدُثُ لَهُ آفَاتٌ لاَ يَشْعُرُ بِهَا إِلاَّ بَعْدَ حِيْنٍ، وَمِنْهَا خِوَاءُ الْنَّفْسِ وَقَسْوَةُ الْقَلْبِ وَفُتُوْرُ الْهِمَّةِ، بَلْ وَانْجِرَافُ الْنِّيَّةِ أَحْيَانًا.

وَعَلَى الْدَّاعِيَةِ أَنْ يَسْتَشْعِرَ مُهِمّتَهُ الأُوْلَى وَهِيَ أَنْ يُنْقِذَ نَفْسَهُ مِنَ الْضَّلاَلِ. وَقَدْ نَدَّدَ اللهُ بِمَنْ يَسْتَرْسِلُ فِي الْغَفْلَةِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿أَ تَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ البقرة: ٤٤

وَيَجِبُ أَنْ يُبْقِي رِجَالُ الْصَّفْوَةِ بَعْضَ أَوْقَاتِهِمْ لِمُوَاصَلَةِ تَرْبِيَةِ أَنْفُسِهِمْ بِالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، وَإِلاَّ قَسَتْ قُلُوْبُهُمْ مِنْ بَعْدِ لَذَّةِ الابْتِدَاءِ.

وَلْيَعْلَمِ الْدَّاعِيَةُ أَنَّ زَادَهُ الَّذِي يَتَقَوَّى بِهِ عَلَى طَرِيْقِ الْدَّعْوَةِ، إِنَّمَا هُوَ بِإِقَامَةِ الْفَرَائِضِ وَالاسْتِكْثَارِ مِنَ الْنَّوَافِلِ، وَالاشْتِغَالِ بِالأَذْكَارِ، وَالْمُدَاوَمَةِ عَلَى الاسْتِغْفَارِ وَكَثْرَةِ الْتِّلاَوَةِ الْقُرْآنِيَّةِ، وَالْحِرْصِ عَلَى الْمُنَاجَاةِ الْرَّبَّانِيَّةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْقُرُبَاتِ وَالْطَّاعَاتِ.

وَلَقَدْ ظَهَرَتْ هَذِهِ الْمَنْهَجِيَّةُ الْدَّعَوِيَّةُ الْشَّامِلَةُ عَلَى مُسْتَوَى الْدُّعَاةِ، مُؤَكِّدَةً ارْتِبَاطَ تَحْقِيْقِهَا عَلَى مُسْتَوَى الْمَدْعُوِّيْنَ، قَائِمٌ بِمَدَى تَحَقُّقِهَا عَلَى مُسْتَوَى الْدُّعَاةِ مَعَ أَنْفُسِهِمْ أَوَّلاً.

وَهَذَا يَعْنِي أَنْ يَكُوْنَ الْدَّاعِيَةُ صُوْرَةً صَادِقَةً لِكُلِّ مَا يَدْعُوْ إِلَيْهِ وَيُرِيْدُ غَرْسَهُ فِي الْمَدْعُوِّيْنَ، بَلْ أَنْ يَكُوْنَ فِعْلَهُ وَسُلُوْكَهُ قَبْلَ قَوْلِهِ وَكَلاَمِهِ.

وَالاقْتِرَانُ بَيْنَ الْدَّاعِيَةِ وَالْدَّعْوَةِ قَائِمٌ فِي أَذْهَانِ الْنَّاسِ، وَالْدَّاعِيَةُ نَفْسَهُ شَهَادَةٌ لِلْدَّعْوَةِ، وَهَذِهِ الْشَّهَادَةُ قَدْ تَحْمِلُ الْنَّاسَ عَلَى قَبُوْلِ الْدَّعْوَةِ، وَقَدْ تَحْمِلُهُمْ عَلَى رَدِّهَا وَرَفْضِهَا وَالْدَّاعِيَةُ عِنْدَمَا يَكُوْنُ بَعِيْدًا عَنِ الالْتِزَامِ بِوَاجِبَاتِ الإِسْلاَمِ وَتَكَالِيْفِهِ فَإِنَّهُ يَكُوْنُ فِتْنَةً لِلْنَّاسِ يَصْرِفُهُمْ بِسُلُوْكِهِ عَنْ دِيْنِ اللهِ وَيَصِيْرُ مِثْلُهُ كَمِثْلِ قَاطِعِ الْطَّرِيْقِ بَلْ هُوَ أَسْوَأُ.

وَكَنَتِيْجَةٍ لِذَلِكَ، بَدَأَتْ بَرَامِجُ تَأْهِيْلِ وَإِعْدَادِ الْدُّعَاةِ الْفَرْدِيَّةِ وَالْمُؤَسَّسِيَّةِ تُعْنَى بِحَضَانَةِ الْدُّعَاةِ وَتَأْهِيْلِهِمْ نَفْسِيًّا وَعِلْمِيًّا، بِمِقْدَارِ مَا يُؤَهِّلُهُمْ لإِعْدَادِ وَبِنَاءِ الْمَدْعُوِّيْنَ على كَافَّةِ أَشْكَالِهِمْ وَأَطْيَافِهِمْ وَمُسْتَوَيَاتِهِمْ.

وَلِهَذَا نَجِدُ أَنَّ هَذِهِ الْوَقَفَاتِ الْتَّحْلِيْلِيَّةِ الْتَّرْبَوِيَّةِ، وَالْدَّعَوِيَّةِ، الَّتِي صِيْغَتْ فِي ثَنَايَا بَعْضِ كُتُبِ الْسِّيَرِ الْمُعَاصِرَةِ - خَاصَّةً عِنْدَ تَنَاوُلِ أَحْدَاثِ الْمَرْحَلَتَيْنِ الْمَكِّيَّةِ وَالْمَدَنِيَّةِ، الَّتِي تُمَثِّلُ جَوَانِبَ الْدَّعْوَةِ كُلِّهَا - قَدْ سَهَّلَتِ الْطَّرِيْقَ وَفَرَشَتْ لَهَا أَرْضًا صُلْبَةً لِتَقُوْمَ عَلَيْهَا بِكُلِّ قُوَّةٍ وَثَبَاتٍ وَكَانَتْ مِنْ أَهَمِّ الْدَّوَافِعِ فِي تَبَنِّي وَظُهُوْرِ وَانْتِشَارِ هَذِهِ الْمَنْهَجِيَّةِ عَلَى مُسْتَوَى الْدَّعْوَةِ الْمُعَاصِرَةِ.

وَفِي كِتَابِ الْسِّيْرَةِ الْنَّبَوِيَّةِ دُرُوْسٌ وَعِبَرٌ لِلْدُّكْتُوْرِ مُصْطَفَى الْسِّبَاعِيّ - رَحِمَهُ اللهُ -، فَعَلَى الْرُّغْمِ مِنْ صِغَرِ حَجْمِ هَذَا الْكِتَابِ الَّذِي بَلَغَ حَوَالَيّ (170 صَحِيْفَةً) مِنَ الْقَطْعِ الْصَّغِيْرِ، وَعَلَى وَجَازَةِ عَرْضِ الْسِّيْرَةِ؛ الَّذِي جَاءَ عَلَى شَكْلِ نِقَاطٍ خَلَتْ مِنَ الأَرْقَامِ وَالإِحْصَاءَاتِ الَّتِي تَحْفَلُ بِهَا عَادَةً كُتُبُ الْسِّيْرَةِ الأُخْرَى، إِلاَّ أَنَّ الْجُهْدَ الَّذِي بَذَلَهُ مُؤَلِّفُهُ فِيْهِ كَانَ مُمَيَّزًا بِأُمُوْرٍ:

- تَرْكِيْزُهُ عَلَى الْنَّظَرِ الْدَّعَوِيّ لِهَذِهِ الْسِّيْرَةِ، وَلاَ رَيْبَ أَنَّ الْسِّيْرَةَ هِيَ: قِصَّةُ الْدَّعْوَةِ بِكُلِّ أَبْعَادِهَا، وَقِصَّةُ الْدَّاعِيَةِ الأَوَّلِ فِي شَخْصِ مُحَمَّدٍ ρ.
- جَوْدَةُ الاسْتِنْبَاطِ لِلْدُّرُوْسِ وَالْعِبَرِ الْدَّعَوِيَّةِ وَتَصَوُّرِ الْدَّعْوَةِ فِي شَخْصِ الْفَرْدِ وَفِي الْمُجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ وَرَبْطِهَا فِي عِدَّةِ مَوَاضِعَ بِالْحَيَاةِ الْمُعَاصِرَةِ.
- حَيَوِيَّةُ الْعَرْضِ وَمُلاَمَسَةِ مَشَاعِرَ الْمُتَلَقِّي، وَلَعَلَّ ذَلِكَ عَائِدٌ إِلَى كَوْنِ أَصْلِ هَذَا الْكِتَابِ مُحَاضَرَاتٍ أُلْقِيَتْ عَلَى الْطُّلاَّبِ فِي الْجَامِعَةِ.

يَقُوْلُ مُقَدِّمُ الْكِتَابِ:

" وَالْنَّاظِرُ فِي هَذِهِ الْصَّفَحَاتِ لاَ يَصْعُبُ عَلَيْهِ أَنْ يَلْمَسَ أَنَّ أُسْتَاذَنَا الْدَّاعِيَةُ كَانَ يُجِيْلُ الْنَّظَرَ فِي الْسِّيْرَةِ الْنَّبَوِيَّةِ عَلَى ضَوْءِ الْدَّعْوَةِ وَالْدَّاعِيَةِ وَالْرَّسُوْلِ وَالْرِّسَالَةِ، وَمِنْ خِلاَلِ تَجْرُبَتِهِ هُوَ رَحِمَهُ اللهُ فِي تَرَسُّمِ خُطَى الْمُصْطَفَى ρ فِي حَقْلِ الْدَّعْوَةِ وَهِدَايَةِ الْنَّاسِ، فَكَانَ يَجِدُ الْدُّرُوْسَ وَالْعِبَرَ الَّتِي يَتَوَجَّهُ بِهَا إِلَى الْدُّعَاةِ فِي كُلِّ مَكَانٍ.. وَلِهَذَا فَإِنَّهُ رَحِمَهُ اللهُ لَمْ يَسْرُدِ الْسِّيْرَةَ

سَرْدَ الْمُؤَرِّخِيْنَ، وَلَمْ يُجَادِلْ فِي جَوَانِبِهَا فِعْلَ الْفُقَهَاءِ وَالْمُتَكَلِّمِيْنَ.. وَإِنَّمَا نَظَرَ إِلَيْهِ أَوَّلاً - وَقَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ – بِعَيْنِ الْدَّاعِيَةِ الْخَبِيْرِ الَّذِي يَرَى سِيْرَةَ النَّبِيِّ الْعَظِيْمِ، الأُسْوَةَ الْحَسَنَةَ لِكُلِّ الْدُّعَاةِ وَالْمُصْلِحِيْنَ"[5].

وَيَقُوْلُ الْدُّكْتُوْرُ فَارُوْقُ حَمَادَةَ فِي كِتَابِهِ (مَصَادِرُ الْسِّيْرَةِ الْنَّبَوِيَّةِ وَتَقْوِيْمِهَا)[6] عَنْ هَذَا الْكِتَابِ:

" يَشْعُرُ قَارِئُهُ أَنَّهُ أَمَامَ دَاعِيَةٍ يَعِيْشُ الْدَّعْوَةَ الإِسْلاَمِيَّةَ وَيَقْتَفِي أَثَرَ رَائِدِهَا الْسَّيِّدِ الرَّسُوْلِ ρ، وَيَتَحَرَّكُ لِأَجْلِهَا، وَيَشْعُرُ قَارِئُهُ وَكَأَنَّهُ أَمَامَ خَطِيْبَ دَهْرِهِ؛ يُخَاطِبُهُ بِلُغَةِ الْعَقْلِ وَالْعَاطِفَةِ، وَيَسْتَثِيْرُ فِيْهِ عَوَامِلَ الإِيْمَانِ، وَيَسْتَجِيْشُ فِي نَفْسِهِ مَشَاعِرَ الْحَمِيَّةِ الإِسْلاَمِيَّةِ".

وَلِذَلِكَ فَلَنْ أَتَعَرَّضَ لِذِكْرِ أَمْثِلَةٍ لِمَا فِيْهِ مِنَ الْدُّرُوْسِ الْتَّحْلِيْلِيَّةِ وَالْعِبَرِ الْمُتَّصِلَةِ بِالْدَّعْوَةِ أَوْ أَحَدُ أَرْكَانِهَا لِأَنَّ الْكِتَابَ غَالِبُهُ فِي ذَلِكَ.

وَهُنَا مُلاَحَظَتَانِ لِلْمُتَخَصِّصِيْنَ فِي الْدِّرَاسَاتِ الْدَّعَوِيَّةِ وَالْتَّرْبَوِيَّةِ:

أَوَّلُهَا: أَنَّ هَذَا الْجُهْدَ الْمُتَمَيِّزَ الَّذِي حَاكَهُ الْدُّكْتُوْر مُصْطَفَى الْسِّبَاعِي رَحِمَهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ جَدِيْرٌ بِالْعِنَايَةِ، وَأَنْ يُتْبَعَ بِنَظَرٍ وَدِرَاسَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ لِمَعَالِمَ الْدَّعْوَةِ وَدُرُوْسِهَا فِي سِيْرَةِ الْمُصْطَفَى ρ فِي إِطَارِ الْتَّحْلِيْلِ الْشَّامِلِ لَهَا.

ثَانِيْهَا: أَنَّ الْكُتُبَ الأُخْرَى الَّتِي اهْتَمَّتْ بِفِقْهِ الْسِّيْرَةِ لَمْ تَخْلُ مِنَ الْفَوَائِدِ وَالْدُّرُوْسِ الْدَّعَوِيَّةِ، وَلِذَا فَإِنَّ مِنَ الْمُفِيْدِ جِدًّا تَتَبُّعِ كُلِّ مَوْضُوْعٍ مِنْ مَوْضُوْعَاتِ الْسِّيْرَةِ وَأَحْدَاثِهَا فِي أَكْبَرِ عَدَدٍ مِنْ مُصَنَّفَاتِ فِقْهِ الْسِّيْرَةِ، لِأَنَّ هَذَا الْفِقْهَ مَبْنِي عَلَى الاسْتِنْبَاطِ وَحُسْنِ الْفَهْمِ.

وَعَلَى سَبِيْلِ الأَحْدَاثِ وَالْمَوْضُوْعَاتِ، الْمِثَالُ الآتِي:

- قِصَّةُ[7] تَحَنُّثِهِ ρ فِي غَارِ حِرَاءٍ مُتَعَبِّدًا وَمُتَأَمِّلاً الْلَّيَالِي ذَوَاتِ الْعَدَدِ، حَتَّى جَاءَهُ المَلَكُ بِالْوَحْي، وَآيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيْمِ.

عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِيْنَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ρ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ. ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ -وَهُوَ التَّعَبُّدُ- اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ. ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ. قَالَ: "مَا أَنَا بِقَارِئٍ". قَالَ: "فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فقال: اقرأ. فقلت: مَا أَنَا بِقَارِئٍ. فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ. ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ. فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ.

فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ[8]. فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ρ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ فَقَالَ: "زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي"، فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ: "لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي". فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كلا والله لا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا؛ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ. فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى ابْنَ عَمِّ خَدِيْجَةَ وَكَانَ امْرءًا قَدْ تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيْجَةُ: يَابْنَ عَمِّ اسْمَعْ مِنِ ابْنِ أَخِيْكَ. فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ρ خَبَرَ مَا رَأَى. فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أَنْزَلَ اللهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيْهَا جَذَعٌ. لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ، ρ: "أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ؟ " قَالَ: نَعَمْ. لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ. وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا. ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ وَفَتَرَ الْوَحْيُ"[9].

وَفِي إِشَارَةٍ وَاضِحَةٍ لِعَمَلِيَّةِ الإِعْدَادِ وَالْتَّرَقِّي لِلْدَّاعِيَةِ قَبْلَ بَدْأَ رِسَالَةِ الْدَّعْوَةِ وَالْتَّبْلِيْغِ.

يَقُوْلُ مُحَمَّدٌ الْغَزَالِيّ: (فِي غَارِ حِرَاءٍ كَانَ مُحَمَّدٌ ρ يَتَعَبَّدُ، وَيُصْقِلُ قَلْبَهُ، وَيُنَقِّي رُوْحَهُ، وَيَقْتَرِبُ مِنَ الْحَقِّ جَهْدَهُ، وَيَبْتَعِدُ عَنِ الْبَاطِلِ وِسْعَهُ، حَتَّى وَصَلَ مِنَ الْصَّفَاءِ إِلَى مَرْتَبَةٍ عَالِيَةٍ انْعَكَسَتْ بِهَا أَشِعَّةُ الْغُيُوْبِ عَلَى صَفْحَتِهِ الْمَجْلُوَّةِ، فَأَمْسَى لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلاَّ جَاءَتْ كَفَلَقِ الْصُّبْحِ، في هذا الغار اتصل محمد ρ بالملأ الأعلى)[10].

وَاخْتَارَ[11] رَسُوْلُ اللهِ ρ دَارَ الأَرْقَمِ بْنِ أَبِي الأَرْقَمِ لِيَجْتَمِعَ فِيْهَا بِالْمُسْلِمِيْنَ سِرًّا، حِفَاظًا عَلَى دَعْوَتِهِ وَأَصْحَابِهِ، إِذْ كَانَتْ بَعِيْدَةً عَنْ أَعْيُنِ الأَعْدَاءِ وَتَفْكِيْرِهِمْ، وَكَانَتْ عَلَى جَبَلِ الْصَّفَا، وَهِيَ بِمَعْزِلٍ عَنِ الْمُتَرَبِّصِيْنَ بِالْمُسْلِمِيْنَ فِي مَكَّةَ، وَكَانَتْ - فَضْلاً عَنْ ذَلِكَ - لِلأَرْقَمِ بْنِ أَبِي الأَرْقَمِ، وَهُوَ مِنَ الْسَّابِقِيْنَ الأَوَّلِيْنَ الَّذِيْنَ اسْتَجَابُوْا للهِ وَالْرَّسُوْلِ ρ.

---

(5) ينظر: السيرة النبوية دروس وعبر ص 5 – 6 .
(6) ينظر: المصدر السابق ص 110 .
(7) ينظر: تهذيب سيرة بن هشام، عبد السلام هارون، ص50.
(8) سورة العلق، الآية من 1-3.
(9) صحيح البخاري مع شرح فتح الباري (1/ 23).
(10) ينظر: فقه السيرة، محمد الغزالي، ص99.
(11) ينظر: نور اليقين في سيرة خير المرسلين، محمد الخضري، ص30.

وَفِي هَذِهِ الْدَّارُ الْمُبَارَكَةُ، كَانَ رَسُوْلُ اللهِ ρ يَلْتَقِي بِأَصْحَابِهِ ، يَتْلُوْ عَلَيْهِمْ آيَاتُ اللهِ وَيُزَكِّيْهِمْ، وَيُعَلِّمُهُمْ أُمُوْرَ دِيْنِهِمْ، وَيُبَاحِثُهُمْ فِي شَأْنِ الْدَّعْوَةِ وَمَا وَصَلَتْ إِلَيْهِ، وَيَسْمَعُ شَكْوَاهُمْ وَمَا يَلْقَوْنَهُ مِنْ أَذَى الْمُشْرِكِيْنَ وَكَيْدِهِمْ، وَيَتَحَسَّسَ آلاَمَهُمْ وَآمَالَهُمْ، وَيَطْلُبُ مِنْهُمْ الْصَّبْرَ وَالْثَّبَاتَ عَلَى دِيْنِهِمْ، وَيُبَشِّرُهُمْ أَنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِيْنَ، وَهُنَا يَجِدُ كُتَّابُ الْسِّيْرَةِ الْمُعَاصِرِيْنَ مَادَّةً ثَرِيَّةً فِي إِبْرَازِ دَوْرَ الْدَّاعِي الأَوَّلِ ρ فِي مَجَالِ تَرْبِيَةِ الْمَدْعُوِّيْنَ وَالارْتِقَاءِ بِهِمْ.

يَقُوْلُ الْدُّكْتُوْر الْصَّلاَبِيّ: (فِي دَارِ الأَرْقَمِ وَفَّقَ اللهُ تَعَالَى رَسُوْلَهُ ρ إِلَى تَكْوِيْنِ الْجَمَاعَةِ الأُوْلَى مِنَ الْصَّحَابَةِ، حَيْثُ قَامُوْا بِأَعْظَمَ دَعْوَةٍ عَرَفَتْهَا الْبَشَرِيَّةُ. وَكَانَتْ نُقْطَةُ الْبَدْءِ فِي حَرَكَةِ الْتَّرْبِيَةِ الْرَّبَّانِيَّةِ الأُوْلَى هِيَ لِقَاءُ الْمَدْعُوّ بِالْنَّبِيّ ρ، فَيَحْدُثُ لِلْمَدْعُوّ تَحَوُّلٌ غَرِيْبٌ، وَاهْتِدَاءٌ مُفَاجِئٌ، فَيَخْرُجَ الْمَدْعُوّ مِنْ دَائِرَةِ الْظَّلاَمِ إِلَى دَائِرَةِ الْنُّوْرِ، وَيَكْتَسِبُ الإِيْمَانَ وَيَطْرُدَ الْكُفْرَ، وَيَقْوَى عَلَى تَحَمُّلِ الْشَّدَائِدِ وَالْمَصَائِبِ فِي سَبِيْلِ دِيْنِهِ الْجَدِيْدِ وَعَقِيْدَتِهِ الْسَّمْحَةِ) [12].

ومَعَ أَهَمِّيَّةِ فَهْمِ الْدَّعَاةِ لِلْمَقْصُوْدِ بِهَذِهِ الْمَرْحَلَةِ الْتَّكْوِيْنِيَّةِ، وَهِيَ صِنَاعَةُ الْعَقْلِيَّةِ الْقِيَادِيَّةِ، خَاصَّةً مِنْ خِلاَلِ الْمُتَابَعَةِ الْدَّقِيْقَةِ لِكُلِّ فَرْدٍ عَلَى حِدَةٍ بِتَشْكِيْلِ شَخْصِيَّتِهِ ، تَشْكِيْلاً يَقُوْمُ عَلَى مُنْتَهَى صِفَتَيّ الْقُوَّةِ وَالأَمَانَةِ، فإنه لَمْ تَكُنْ هَذِهِ المَرْحَلَةُ تُعْنَى بِإِنْتَاجِ الْعَقْلِيَّةِ الْجِهَادِيَّةِ، إِلَّا بِقَدْرِ مَا هِيَ طَرِيْقٌ لا كْتِسَابِ الْعَقْلِيَّةِ الْقِيَادِيَّةِ فِيْمَا بَعْدُ.

وَيَعْقِدُ الْدُّكْتُوْر مُحَمَّد فَتْح اللهِ كُوْلِنْ فِي كِتَابِ (الْنُّوْر الْخَالِدِ مُحَمَّدٍ ρ مَفْخَرَةُ الإِنْسَانِيَّةِ) فَصْلاً كَبِيْرًا تَحْتَ عُنْوَانِ (الْنَّبِيُّ ρ مُرَبِّيًا) [13] يَعْرِضُ فِيْهِ جُمْلَةً مِنَ الْمَوَاقِفِ الْتَّرْبَوِيَّةِ الْنَّبَوِيَّةِ التي عَلَّمَها، الْنَّبِيُّ ρ أَصْحَابَهُ، لِيُصْقِلَهُمْ وَيَرْفَعَهُمْ إِلَى مُسْتَوَى الْقَادَةِ الْكِبَارِ الْمُؤَثِّرِيْنَ فِي الْمَجَالاَتِ الْمُخْتَلِفَةِ.

وَفِي هَذَا الْصَّدَدِ يَقُوْلُ الْدُّكْتُوْر الْعُمَرِيّ: (وَكَانَ الْرَّسُوْلُ ρ، يُرَبِّي أَصْحَابَهُ عَلَى عَيْنِهِ، وَيُوَجِّهُهُمْ نَحْوَ تَوْثِيْقِ الْصِّلَةِ بِاللهِ، وَالْتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ بِالْعِبَادَةِ.. تَمْهِيْدًا لِحَمْلِ زِمَامِ الْقِيَادَةِ، وَالْتَّوْجِيْهِ فِي عَالَمِهِمْ إِذْ لاَ بُدَّ مِنْ إِعْدَادٍ رُوْحِيّ عَالٍ لَهُمْ، وَقَدْ اخْتَارَهُمُ اللهُ تَعَالَى لِحَمْلِ رِسَالَتِهِ، وَائْتَمَنَهُمْ عَلَى دَعْوَتِهِ، وَاتَّخَذَ مِنْهُمْ شُهَدَاءَ عَلَى الْنَّاسِ، فَالْعَشَرَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ فِي هَذِهِ الْمَرْحَلَةِ الْتَّأْرِيْخِيَّةِ، كَانَتْ أَمَامَهُمُ الْمُهِمَّاتِ الْجَسِيْمَةِ، فِي تَعْدِيْلِ مَسَارِ الْبَشَرِيَّةِ، وَإِنْقَاذِهَا مِنَ الانْجِرَافَاتِ الْخَطِيْرَةِ، وَتَسْدِيْدِهَا نَحْوَ تَوْحِيْدِ اللهِ وَطَاعَتِهِ)[14].

وَالْمَادَّةُ الْتَّرْبَوِيَّةُ الَّتِي كَانَتْ مُعْتَمَدُ الْجِيْلِ الأَوَّلِ كَانَتْ هِيَ الْقُرْآنُ الْكَرِيْمُ. وَلِلْقُرْآنِ الْمَكِّيّ طَبِيْعَةٌ خَاصَّةٌ مِنَ الْنَّاحِيَةِ الْتَّرْبَوِيَّةِ، فَهُوَ كَانَ يُسْهِمُ بِشَكْلٍ مُبَاشِرٍ فِي تَكْوِيْنِ الْعَقْلِيَّةِ الْقِيَادِيَّةِ، وَيُسَاعِدُ عَلَى ذَلِكَ.

يَقُوْلُ الإِمَامُ الْشَّاطِبِيّ رَحِمَهُ اللهُ:

(وَهَذَا كُلُّهُ ظَاهِرٌ لِمَنْ نَظَرَ فِي الْأَحْكَامِ الْمَكِّيَّةِ مَعَ الْأَحْكَامِ الْمَدَنِيَّةِ، فَإِنَّ الْأَحْكَامَ الْمَكِّيَّةَ مَبْنِيَّةٌ عَلَى الْإِنْصَافِ مِنَ النَّفْسِ، وَبَذْلِ الْمَجْهُودِ فِي الِامْتِثَالِ بِالْنِّسْبَةِ إِلَى حُقُوقِ اللهِ أَوْ حُقُوقِ الْآدَمِيِّينَ.

وَأَمَّا الْأَحْكَامُ الْمَدَنِيَّةُ، فَمُنَزَّلَةٌ فِي الْغَالِبِ عَلَى وَقَائِعَ لَمْ تَكُنْ فِيمَا تَقَدَّمَ مِنْ بَعْضِ الْمُنَازَعَاتِ وَالْمُشَاحَّاتِ، وَالرُّخَصِ وَالتَّخْفِيفَاتِ وَتَقْرِيرِ الْعُقُوبَاتِ -فِي الْجُزْئِيَّاتِ لَا الْكُلِّيَّاتِ، فَإِنَّ الْكُلِّيَّاتِ كَانَتْ مُقَرَّرَةً مُحْكَمَةً بِمَكَّةَ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، مَعَ بَقَاءِ الْكُلِّيَّاتِ الْمَكِّيَّةِ عَلَى حَالِهَا، وذلك يُؤْتَى بِهَا فِي السُّوَرِ الْمَدَنِيَّاتِ تَقْرِيرًا وَتَأْكِيدًا)[15].

ثُمَّ قَالَ: (كَانَ الْمُسْلِمُونَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ آخِذِينَ بِمُقْتَضَى التَّنْزِيلِ الْمَكِّيِّ عَلَى مَا أَدَّاهُمْ إِلَيْهِ اجْتِهَادُهُمْ وَاحْتِيَاطُهُمْ؛ فَسَبَقُوا غَايَةَ السَّبْقِ حَتَّى سُمُّوا "السَّابِقِينَ" بِإِطْلَاقٍ، ثُمَّ لَمَّا هَاجَرُوا إِلَى الْمَدِينَةِ وَلَحِقَهُمْ فِي ذَلِكَ السَّبْقِ مَنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَكَمُلَتْ لَهُمْ بِهَا شُعَبُ الْإِيمَانِ وَمَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ، وَصَادَفُوا ذَلِكَ وَقَدْ رَسَخَتْ فِي أُصُولِهَا أَقْدَامُهُمْ فَكَانَتْ الْمُتَمِّمَاتِ أَسْهَلَ عَلَيْهِمْ؛ فَصَارُوا بِذَلِكَ نُورًا حَتَّى نَزَلَ مَدْحُهُمْ وَالثَّنَاءُ عَلَيْهِمْ فِي مَوَاضِعَ مِنْ كِتَابِ اللهِ، وَرَفَعَ رَسُولُ اللهِ ρ مِنْ أَقْدَارِهِمْ، وَجَعَلَهُمْ فِي الدِّينِ أَئِمَّةً؛ فَكَانُوا هُمُ الْقُدْوَةُ الْعُظْمَى فِي أَهْلِ الشَّرِيعَةِ، وَلَمْ يَتْرُكُوا بَعْدَ الْهِجْرَةِ مَا كَانُوا عَلَيْهِ، بَلْ زَادُوا فِي الِاجْتِهَادِ وَأَمْعَنُوا فِي الِانْقِيَادِ لِمَا حُدَّ لَهُمْ فِي الْمَكِّيِّ وَالْمَدَنِيِّ مَعًا.

لَمْ تُزَحْزِحْهُمُ الرُّخَصُ الْمَدَنِيَّاتُ عَنِ الْأَخْذِ بِالْعَزَائِمِ الْمَكِّيَّاتِ، وَلَا صَدَّهُمْ عَنْ بَذْلِ الْمَجْهُودِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ مَا مُتِّعُوا بِهِ مِنَ الْأَخْذِ بِحُظُوظِهِمْ وَهُمْ مِنْهَا فِي سَعَةٍ)[16].

فَوَضُحَ مِنْ خِلاَلِ هَذَيْنِ الْنَّصَّيْنِ، أَنَّ الْقُرْآنَ الْمَكِّيّ، كَانَ لَهُ أَثَرٌ كَبِيْرٌ فِي تَخْرِيْجِ الْطَّاقَاتِ الْقِيَادِيَّةِ مِنَ الْصَّحَابَةِ الأَوَائِلِ خَاصَّةٍ، وَهُوَ أَمْرٌ طَبِيْعِيّ، فَكُلُّ دَعْوَةٍ كَانَتْ فِي مَرْحَلَةِ الْتَّأْسِيْسِ، لاَبُدَّ لَهَا مِنَ الْسَّعْيِ إِلَى تَرْبِيَةِ الْخَلاَيَا الأُوْلَى، الَّتِي سَتَتَوَلَّى أَفْرَادُهَا مُهِمَّةَ الإِنْتَاجِ وَالاسْتِيْعَابِ، فِيْمَا بَعْدُ؛ فَيَكُوْنَ الْتَّأْسِيْسُ الْتَّرْبَوِيّ الأَوَّلُ بِطَبْعِهِ، تَأْسِيْسًا قِيَادِيًّا، بِالْدَّرَجَةِ الأُوْلَى.

([12]) ينظر: السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، علي الصلابي، ص 97 بتصرف يسير.
([13]) ينظر: النور الخالد محمد ρ مفخرة الإنسانية، محمد فتح الله كولن.
(14) ينظر: السيرة النبوية الصحيحة، (159/1) بتصرف يسير.
([15]) ينظر الموافقات، للشاطبي، (238/5)، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الأولى 1417هـ/ 1997م.
(16) المرجع السابق، (241/5).

وَوَعْيًا مِنَ الرَّسُوْلِ ρ بِهَذَا الْهَدَفِ، كَان يَتَحَرَّى فِي دَعْوَتِهِ أَوَّلَ الأَمْرِ، مِنْ أَنْ تَبْدُوْ عَلَيْهِ مَخَايِلَ الْعَبْقَرِيَّةِ الْقِيَادِيَّةِ، وَرُغْمَ أَنَّ الْدَّعْوَةَ كَانَتْ مُنْذُ انْطِلاَقَتِهَا الأُوْلَى لِكُلِّ النَّاسِ، إِلاَّ أَنَّهُ ρ، كَانَ يَسِيْرُ وِفْقَ مَنْهَجِ الْقُرْآنِ الْمَكِّيِّ، فِي بِنَاءِ الْقَادَةِ أَسَاسًا، سَوَاءٌ كَانَ الْمَدْعُوْ مِنَ الْفُقَرَاءِ، أَوِ الأَغْنِيَاءِ، وَسَوَاءٌ كَانَ مِنَ الْسَّادَةِ، أَوْ مِنَ الأَرِقَّاءِ، حَتَّى إِذَا أَسْلَمَ الْرَّجُلُ، مِنْ أَيِّ شَرِيْحَةٍ اجْتِمَاعِيَّةٍ كَانَ، سَعَى بِهِ تَرْبَوِيًّا، نَحْوَ هَذَا الاتِّجَاهِ. وَثَمَّةَ نُصُوْصٍ حَدِيْثِيَّةٍ تُشِيْرُ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى، كَمَا فِي قَوْلِهِ ρ: (خِيَارُكُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُكُمْ فِي الإِسْلاَمِ إِذَا فَقِهُوْا)[17].

وَنُدْرِكُ أَنَّ كُتَّابَ الْسِّيْرَةِ الْمُعَاصِرَةِ لَمْ يَكْتَفُوْا بِبَيَانِ أَهَمِّيَّةِ الْتَّرْبِيَةِ الْدَّعَوِيَّةِ وَطَرَائِقِهَا، إِنَّمَا عَالَجُوْا مُفْرَدَاتِهَا وَحَلَّلُوْا مُعْطَيَاتِهَا مِنْ خِلاَلِ مُنْعَطَفَاتِ الْسِّيْرَةِ وَأَحْدَاثِهَا، جَاعِلِيْنَ كُلَّ ذَلِكَ مُنْطَلَقًا أَسَاسِيًّا لِمُؤَلَّفِهِ[18].

وَلاَ شَكَّ أَنَّ اطِّلاَعَ الْدُّعَاةِ الْمُعَاصِرِيْنَ عَلَى مِثْلِ هَذِهِ الْتَّعْلِيْقَاتِ وَالْتَّحْلِيْلاَتِ، تَرْسُمُ فَهْمًا جَمِيْلاً لَدَى جُمْهُوْرِ الْدُّعَاةِ، تُعَرِّفُهُمْ بِوَاجِبَاتٍ تَرْبَوِيَّةٍ تُجَاهَ أنفسهم أَوَّلاً، وَتَضَعُهُم عَلَى جُمْلَةٍ مِنَ الْمَسْئُوْلِيَّاتِ الْتَّرْبَوِيَّةِ تُجَاه مُجْتَمَعَاتِهِمْ ثَانِيًا.

مِنْ هنا أَصْبَحَتِ الْتَّرْبِيَةُ رُكْنًا مُهِمًّا مِنَ أَرْكَانِ الْدَّعْوَةِ وَمُتَطَلَّبَاتِهَا، وَبَاتَ تَحْقِيْقُ هَذِهِ الْثَّقَافَةِ الَّتِي أَنْضَجَتْهَا كُتُبُ الْسِّيَرِ الْمُعَاصِرَةِ مِنْ جُمْلَةِ مَا تَسْمُوْ إِلَيْهِ الْدَّعْوَةُ مِنْ إِنْجَازَاتٍ وَتَطَلُّعَاتٍ فِي حَيَاتِهَا الْمُعَاصِرة.

وَاتَّخَذَتِ الْدَّعْوَةُ الْتَّرْبَوِيَّةُ الْمُعَاصِرَةُ طَرَائِقَ وَمَظَاهِرَ عِدَّةٍ، وَجَاءَتْ فِي أَشْكَالٍ مُتَنَوِّعَةٍ مُتَنَاسِقَةٍ، وَمِن أَهَمِّهَا:

- الْتَّنَوُّعُ بَيْنَ الْتَّرْبِيَةِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْعَمَلِيَّةِ، وَمُرَاعَاةُ الْوَسَطِيَّةِ وَالاعْتِدَالِ فِي الْدَّعْوَةِ وَالْتَّرْبِيَةِ.
- اسْتِشْعَارُ الْدَّاعِيَةِ مَسْؤُوْلِيَّتَهُ تُجَاهَ دَعْوَةِ الإِسْلاَمِ وَتَبْلِيْغِهَا لِلنَّاسِ بِأَقْوَالِهِ وَسُلُوْكِهِ وَأَعْمَالِهِ، فَتَعِيْشُ الْدَّعْوَةُ حَيَّةً فِي قَلْبِهِ، مُتَوَهِّجَةً فِي ضَمِيْرِهِ، تَجْرِي فِي دِمَائِهِ، فَتَنْقُلُهُ مِنَ الْفُتُوْرِ وَالْكَسَلِ إِلَى الْحَرَكَةِ وَالْعَمَلِ، وَمِنْ حُظُوْظِ الْنَّفْسِ وَشَهَوَاتِهَا إِلَى احْتِيَاجَاتِ الْدَّعْوَةِ وَوَاجِبَاتِهَا.
- غَرْسُ الْتَّرْبِيَةِ الْدَّعَوِيَّةِ فِي قُلُوْبِ الْمَدْعُوِّيْنَ وَنَقْلِهِمْ مِنْ مُسْتَوَى الْمُتَلَقِّي إِلَى مُسْتَوَى الْمُرَبِّى، الَّذِي يَحْرِصُ عَلَى الاسْتِفَادَةِ مِنَ الْمَوْعِظَةِ، وَتَحْقِيْقِ الْتَّغْيِيرِ فِي نَفْسِهِ وَوَاقِعِهِ.
- إِقَامَةُ الْدَّوْرَاتِ الْتَّدْرِيْبِيَّةِ، وَالْتَّقْيِيمَاتِ الْدَّوْرِيَّةِ بَيْنَ أَوْسَاطِ الْدُّعَاةِ؛ لِلْتَّأْهِيْلِ وَالْتَّطْوِيْرِ الْمُسْتَمِرِّ.
- أَهَمِّيَّةُ رَصْدِ وَمُتَابَعَةِ الْقَضَايَا الْتَّرْبَوِيَّةِ وَالْسُّلُوْكِيَّاتِ الْخَاطِئَةِ فِي الْمُجْتَمَعَاتِ، وَتَصْنِيْفِهَا وَمُعَالَجَتِهَا.

(17) رواه البخاري (1235/3، رقم 3194)، ومسلم (1846/4، رقم 2378).
([18]) من ذلك: كتاب: المنهج التربوي للسيرة النبوية، للدكتور: منير الغضبان، وكتاب: وقفات تربوية من السيرة النبوية، للدكتور: عبد الحميد البلالي. وغيرهما.

الْمَطْلَبُ الثَّانِي: الْمَنْهَجُ الدَّعَوِيّ الشُّمُوْلِيّ

الْشُّمُولِيَّةُ بِمَعْنَاهَا الْعَامّ: أَنَّ الإِسْلاَمَ مَنْهَجٌ مُتَكَامِلٌ، تَشْرِيْعٌ شَامِلٌ لِكُلِّ مَجَالاَتِ الْحَيَاةِ، فَهُوَ إِيْمَانٌ وَعَمَلٌ، عَقِيْدَةٌ وَشَرِيْعَةٌ، عِبَادَةٌ وَمُعَامَلَةٌ، فِكْرٌ وَعَاطِفَةٌ، أَخْلاَقٌ وَعِمْرَانٌ.

وَمِنْ مَظَاهِرِ الْشُّمُوْلِ الَّتِي تَمَيَّزَ بِهَا دِيْنُ الإِسْلاَمِ:

أ- أَنَّهُ شَامِلٌ لِكُلِّ الْنَّاسِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ.

بِمَعْنَى أَنَّ دِيْنَ الإِسْلاَمِ الَّذِي بَعَثَ اللهُ بِهِ مُحَمَّدًا ρ هُوَ دِيْنٌ لِجَمِيْعِ الْنَّاسِ فِي الأَرْضِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ وَانْتِهَاءِ الْحَيَاةِ الْدُّنْيَا، فَهُوَ رِسَالَةٌ لِلْعَالَمِ كُلِّهِ، وَلَيْسَ خَاصًّا بِالْعَرَبِ مَثَلاً، وَلاَ بِجِنْسٍ دُوْنَ آخر، بَلْ هُوَ لِلْعَرَبِ وَالْعَجَمِ، وَالْبِيْضِ وَالسُّوْدِ، وَالأَحْرَارِ وَالْعَبِيْدِ.

فَدِيْنُ الإِسْلاَمِ لَيسَ فِيْهِ شَعْبٌ مُخْتَارٌ، أَوْ تَمَيّزٌ بِسَبَبِ الْجَنْسِ أَوِ الْلَّوْنِ.

وَيُقَرِّرُ اللهُ هَذَا فِي كِتَابِهِ الْعَزِيْزِ مُخَاطِبًا نَبِيَّهُ ρ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﭼ[19].

وَيَقُوْلُ عَزَّ وَجَلَّ: ﭽ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﭼ[20].

وَيَقُوْلُ عَزَّ وَجَلَّ: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﭼ[21].

ب- شُمُوْلُ شَرِيْعَةِ الإِسْلاَمِ لِجَمِيْعِ مَرَاحِلِ حَيَاةِ الإِنْسَانِ:

فَالإِسْلاَمُ وَضَعَ نِظَامًا لِحَيَاةِ الإِنْسَانِ وَهُوَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ حَمْلاً، ثُمَّ عِنْدَمَا يَكُوْنُ طِفْلاً، فَبَيْنَ الَّذِي لَهُ مِنْ حُقُوْقِ الْحَضَانَةِ وَالْرَّضَاعَةِ وَالْرِّعَايَةِ، ثُمَّ الْبُلُوْغِ فَالْزَّوَاجِ، ثُمَّ عِنْدَمَا يَكُوْنُ أَبًا أَوْ أُمًّا، ثُمَّ شَيْخًا كَبِيْرًا، فَشَرِيْعَةُ الإِسْلاَمِ تَرْعَى الإِنْسَانَ وَتُدِيْرُ شُؤُوْنَهُ مِنْ قَبْلِ وِلاَدَتِهِ حَتَّى وَفَاتِهِ وَبَعْدَ وَفَاتِهِ.

ج- شُمُوْلُ أَحْكَامِ الإِسْلاَمِ لِكُلِّ نَوَاحِي الْحَيَاةِ:

دِيْنُ الإِسْلاَمِ يُنَظِّمُ حَيَاةَ الإِنْسَانِ كُلِّهَا فِي نَفْسِهِ وَعَلاَقَاتِهِ مَعَ غَيْرِهِ، فِي بَيْتِهِ وَفِي عَمَلِهِ وَفِي كُلِّ أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ، فَكُلُّ حَيَاةِ الإِنْسَانِ تَكَفَّلَ الإِسْلاَمُ بِوَضْعِ مَنْهَجٍ مُتَكَامِلٍ لَهَا، وَجَعَلَ الالْتِزَامَ بِهَذَا الْمَنْهَجِ عِبَادَةً يُثَابُ عَلَيْهَا إِذَا خَلُصَتْ الْنِّيَّةُ للهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَفِي دِيْنِ الإِسْلاَمِ لاَبُدَّ أَنْ يُؤْخَذَ الْدِّيْنَ كُلَّهُ وَلاَ يُجَزَّأ، وَلاَ يُؤْخَذَ بَعْضُهُ وَيُتْرَكَ بَعْضُهُ.

قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﭽ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﭼ[22].

وَقَدْ أَنْكَرَ الإِسْلاَمُ عَلَى الْيَهُوْدِ الَّذِيْنَ آمَنُوْا بِبَعْضِ الْرُّسُلِ وَكَفَرُوْا بِبَعْضِهِمْ الآخَرِ، قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﭽ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﭼ[23].

وَأَمَّا الْمَقْصُوْدُ بِالْمَنْهَجِ الْشُّمُوْلِيّ فِي الْدَّعْوَةِ، فَهُوَ:

شُمُوْلِيَّةُ الْمَبَادِئ وَالْقِيَمِ الإِسْلاَمِيَّةِ جَمِيْعَ شُؤُوْنِ الْحَيَاةِ، وَاتِّسَاعِهَا بِاتِّسَاعِ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ وَالإِنْسَانِ.

وَالْدُّعَاةُ الْمُعَاصِرُوْنَ يُحَاوِلُوْنَ جَاهِدِيْنَ أَنْ يَرْتَشِفُوْا مِنْ مَعِيْنِ نُصُوْصِ الْسِّيْرَةِ الْنَّبَوِيَّةِ سِمَةَ الأَحْدَاثِ الَّتِي تَتَّصِفُ بِالْشُّمُوْلِ وَالاحْتِوَاءِ، وَمَعَ مُغَالَبَةِ الْقُوَى الْمُنَاوِئَةِ وَتِكْرَارِ الْمُحَاوَلاَتِ الْمُتَتَابِعَةِ لِتَقْزِيْمِ الإِسْلاَمِ، وَحَصْرِ دَوْرِهِ فِي الْمَسْجِدِ، أَصْبَحَ أَمْرُ الْشُّمُوْلِيَّةِ فِي الْدَّعْوَةِ ثَانَوِيًّا، لاَ يُهْتَمُّ بِهَا وَلاَ يُسْعَى لِتَحْقِيْقِهَا.

وَكَانَ مِنْ آثَارِ ذَلِكَ الانْحِرَافِ فِي مَفْهُوْمِ الْشُّمُوْلِيَّةِ:

- عَزْلُ الْدِّيْنِ عَنْ أُمُوْرِ الْدَّوْلَةِ وَالْقِيَادَةِ وَالْسُّلْطَانِ وَالْحُكْمِ، وَإِصْدَارُ الْتَّشْرِيْعَاتِ الْوَضْعِيَّةِ الَّتِي تَحْكُمُ الأُمَّةَ الإِسْلاَمِيَّةَ.
- إِهْمَالُ الْعُلُوْمِ الْشَّرْعِيَّةِ الْمُسْتَمَدَّةِ مِنَ الْكِتَابِ وَالْسُّنَّةِ فِي كُلِّ مَجَالاَتِ الْتَّرْبِيَةِ وَالْثَّقَافَةِ، وَجَعْلِهَا فِي الْدَّرَجَةِ الْدُّنْيَا، مَعَ الإِعْلاَءِ مِنْ شَأْنِ الْثَّقَافَاتِ الْمُخَالِفَةِ لِهَذَا الْمَنْهَجِ الإِسْلاَمِيّ وَإِجْلاَلِ أَصْحَابِهَا، وَالْنَّفْخِ الْدَّائِمِ فِيْهِمْ، وَجَعْلِهِمْ فِي مَثَابَةِ الْفَاتِحِيْنَ وَالْمُجَدِّدِيْنَ.
- وَفِي الْجَانِبِ الأَخْلاَقِيّ فتَحُوْا الطَّرِيْقَ أَمَامَ نَشْرِ الْفَسَادِ وَتَدْمِيْرِ مُقَوِّمَاتِ الْمُجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ، وَنَشْرِ ثَقَافَةِ الْعُرِيّ وَالتبَرُّجِ وَالإِبَاحِيَّةِ، مِنْ خِلاَلِ الْمُجُوْنِ وَالْسُّقُوْطِ، وَوَسَائِلِ الإِعْلاَمِ؛ الْمَكْتُوْبَةِ، وَالْمَقْرُوْءَةِ، وَالْمَسْمُوْعَةِ، وَالْمَرْئِيَّةِ، عَلَى حَدٍّ سَوَاءٍ.

وَقَدْ اسْتَطَاعَتْ كَثِيْرٌ مِنَ الْكِتَابَاتِ الْمُعَاصِرَةِ لِأَحْدَاثِ الْسِّيْرَةِ الْنَّبَوِيَّةِ فِي مَجَالِ الْدَّعْوَةِ الْحَدِيْثَةِ إِحْيَاءُ مَعالِمِ الإِسْلاَمِ وَمَعَانِيْهِ الْصَّحِيْحَةِ الْشَّامِلَةِ؛ بِدْءًا مِنَ الْجَانِبِ الْعَقَدِيّ وَنَشْرِ تَوْحِيْدِ اللهِ، وَالْتَّعَبُّدِيّ، وَالْتَّشْرِيْعِي، وَالأَخْلاَقِيّ وَغَيْرِهَا، إِلَى أُمُوْرٍ تُعَدُّ مِنْ دَقَائِقِ الْدِّيْنِ وَالْدُّنْيَا.

([19]) سورة الأعراف، الآية: 158.

(20) سورة سبأ، الآية: 28.

(21) سورة الفرقان، الآية: 1.

([22]) سورة البقرة، الآية: 208.

(23) سورة النساء، الآية: 150- 151.

وَأَنْ تُحْيِي مَفْهُوْمَ الْشُّمُوْلِ الْعَظِيْمِ، وَأَنْ تُمَارِسَ الْدَّعْوَةَ مِنْ خِلاَلِ هَذَا الْمَفْهُوْمِ وَهَذَا الْمَنْهَجِ، جَاهِدَةً فِي الْدِّلاَلَةِ عَلَى سُبُلِهِ الْقَوِيْمَةِ، وَوَسَائِلِ تَنْفِيْذِهِ، وَطَرَائِقَ مُمَارَسَتِهِ بَيْنَ الْدُّعَاةِ إِلَى اللهِ وَاقِعًا مَلْمُوْسًا.

يَقُوْلُ د. فَتْحِي كَوْلِنْ فِي كِتَابِهِ (الْنُّوْرِ الْخَالِدِ مُحَمَّدٍ ρ):

" مِنَ الْخَطَأِ أَنْ نَظُنَّ أَنَّ تَرْبِيَةَ الْرَّسُوْلِ ρ اقْتَصَرَتْ عَلَى تَزْكِيَةِ الْنُّفُوْسِ، إِذْ أَنَّهُ أَتَى بِنِظَامٍ شَامِلٍ لِلْتَّرْبِيَةِ، يُخَاطِبُ الْعَقْلَ وَالْرُّوْحَ وَالْقَلْبَ؛ وَالْحَقَائِقُ الْقُرْآنِيَّةِ تَفْعَلُ الْشَّيْءَ نَفْسَهُ، فَالْرَّسُوْلُ ρ يُخَاطِبُ الْعَقْلَ وَيَحُضُّهُ وَيُشَوِّقُهُ، وَيَصِلُ بِهَذَا الْعَقْلِ ذِي الْبُعْدِ الْوَحْيِي إِلَى الْحَدِّ الْنِّهَائِيِّ لِلْعُقُوْلِ.

ثُمَّ يَتَنَاوَلُ الْرُّوْحَ لِيَسْمُو بِهِ إِلَى مَرَاتِبَ أَعْلَى بِكَثِيْرٍ مِنَ الْمَرَاتِبِ الَّتِي يَسْتَطِيْعُ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهَا أَيِّ مُتَخَصِّصٍ فِي الْتَّرْبِيَةِ، وَيَأْخُذَ بِالْقَلْبِ إِلَى الْعَوَالِمِ الَّتِي يَشْتَاقُ إِلَيْهَا وَيَهْفُوْ..

ثُمَّ يَتَنَاوَلُ مَشَاعِرَ الإِنْسَانِ وَلَطَائِفِهِ الأُخْرَى لِيَرْتَفِعَ بِهَا أَيْضًا إِلَى عَوَالِمَ يَتَعَثَّرُ فِيْهَا الْخَيَالُ.. وَبَعْدَ أَنِ ارْتَفَعَ بِأَرْوَاحِ وَعُقُوْلِ وَقُلُوْبِ تَلاَمِيْذِهِ وَطُلاَّبِهِ فَتَحَ أَمَامَهُمْ أَبْوَابَ الْمُؤَسَّسَاتِ الْعِلْمِيَّةِ وَالاقْتِصَادِيَّةِ وَالاجْتِمَاعِيَّةِ وَالإِدَارِيَّةِ وَالْعَسْكَرِيَّةِ وَالْسِّيَاسِيَّةِ، لِأَنَّهُ أَتَى بِرِسَالَةٍ تَسْتَطِيْعُ أَنْ تُرَبِّي فَتَحْصُلَ عَلَى أَفْضَلِ رِجَالِ الإِدَارَةِ وَالاقْتِصَادِ وَالْسِّيَاسَةِ، وَعَلَى أَكْمَلِ الْقُوَّادِ الْعَسْكَرِيِّيْنَ... أَجَلْ، لَقَدْ جَاءَ رَسُوْلُ اللهِ ρ بِرِسَالَةٍ شَامِلَةٍ فِيْهَا الاقْتِصَادُ وَالْمَالُ وَالإِدَارَةُ وَالْتَّعْلِيْمُ وَالْتَّرْبِيَةِ، وَفِيْهَا أَحْكَامُ الْعَدْلِ وَالْقَوَانِيْنِ الْدَّوْلِيَّةِ... الخ.

وَالْخُلاَصَةُ أَنَّهُ أَتَى بِرِسَالَةٍ تَحْتَضِنُ كُلَّ ضَرُوْرَاتِ الْتَّقَدُّمِ، ذَلِكَ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ هُنَاكَ أَيِّ نَقْصٍ فِي أَيِّ نَاحِيَةٍ مِنْ نَوَاحِي رِسَالَتِهِ لَمَا تَحَقَّقَتِ الْغَايَةُ مِنْ إِرْسَالِهِ، بَيْنَمَا يَقُوْلُ الْنَّبِيِّ ρ فِي حَدِيْثٍ لَهُ: " إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلُ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَجَمَّلَهُ إِلاَّ مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ الْنَّاسُ يَطُوْفُوْنَ بِهِ وَيَعْجَبُوْنَ لَهُ وَيَقُوْلُوْنَ: هَلاَّ وُضِعَتْ هَذِهِ الْلَّبِنَةُ! قَالَ: فَأَنَا الْلَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتَمُ الْنَّبِيِّيْنَ" [24].

هَذَا مِنْ حَيْثُ الْجَانِبِ الْشُّمُوْلِيِّ لِعَلاَقَةِ الْدَّاعِيَةِ الْقَائِدِ مَعَ مَدْعُوْيِهِ وَأَتْبَاعِهِ.

وَحَاوَلَ (سَعِيْد حَوَّى) تَسْلِيْطُ الْضَّوْءِ عَلَى الْكِتَابَاتِ الْتَّطْبِيْقِيَّةِ الْشُّمُوْلِيَّةِ لِأَحْدَاثِ الْسِّيْرَةِ الْنَّبَوِيَّةِ الْحَدِيْثَةِ مِنْ خِلاَلِ عَرْضِ الْمَلاَمِحِ الْعَامَّةِ لِلْعَهْدِ الْمَدَنِيِّ.

يَقُوْلُ: (إِنَّهَا مَرْحَلَةُ حَرَكَةٍ مُسْتَمِرَّةٍ، دَعَوِيًّا، وَتَرْبَوِيًّا، وَاجْتِمَاعِيًّا، وَاقْتِصَادِيًّا، وَقَانُوْنِيًّا، وَدُسْتُوْرِيًّا، وَسِيَاسِيًّا، وَعَسْكَرِيًّا، فَتَلاَحَمَ فِيْهَا الْعَمَلُ الْدَّعَوِيِّ وَالْتَّرْبَوِيِّ مَعَ الْعَمَلِ الْسِّيَاسِيِّ الْعَسْكَرِيِّ..) [25]

وَيُبَيِّنُ الْدُّكْتُوْر: مُحَمَّد الْصَّادِقْ عُرْجُوْن عَنِ الْمَقَاصِدِ الْسَّامِيَةِ لِبِنَاءِ الْمَسْجِدِ الأَعْظَمِ بِالْمَدِيْنَةِ قَائِلاً:

" لِأَنَّ حَاجَةَ الْدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ وَتَبْلِيْغِ الْرِّسَالَةِ.. أَنْ يَكُوْنَ لِلْدَّعْوَةِ مَكَانٌ عَامٌ يَتَنَاسَبُ مَعَ عُمُوْمِهَا وَخُلُوْدِهَا.. يَجْتَمِعُوْنَ فِيْهِ إِذَا دَعَتِ الأَحْدَاثُ إِلَى مُشَاوَرَاتٍ.. وَمَكَانٌ عَامٌ يُدْرَسُ فِيْهِ الْعِلْمُ بِأَوْسَعِ وَأَعَمِّ مَعَانِيْهِ، لِيَشْمَلَ الْعَقِيْدَةَ وَبَرَاهِيْنُهَا، وَيَشْمَلَ الْتَّعَبُّدَ وَأَحْكَامِهِ، وَيَشْمَلَ نِظَامَ الْحَيَاةِ فِي الْمُعَامَلاَتِ، وَيَشْمَلَ نِظَامَ سِيَاسَةِ الأُمَّةِ وَعَلاَقَاتِهَا مَعَ بَعْضِهَا أَفْرَادًا أَوْ جَمَاعَاتٍ، أَوْ مَعَ غَيْرِهَا حُكُوْمَاتٍ وَشُعُوْبًا.. وَمَكَانٌ عَامٌ جَامِعٌ يَأْوِي إِلَيْهِ الْغَرِيْبُ وَالْفَقِيْرُ وَالْمِسْكِيْنُ، وَإِيْوَاءُ جَرِيْحِ كَتَائِبِ اللهِ وَجُنْدِهِ فِي مَعَارِكِ الْجِهَادِ فِي سَبِيْلِ اللهِ، وَمَكَانٌ عَامٌ يَتَّسِعُ لِقَادَةِ كَتَائِبِ الْجِهَادِ، وَعَقْدِ الأَلْوِيَةِ، وَتَسْمِيَةِ الْقَادَةِ، وَتَسْيِيرِ الْجُيُوْشِ، وَعَقْدِ رَايَاتِ الْدُّعَاةِ إِلَى اللهِ لِنَشْرِ الْهِدَايَةِ وَتَبْلِيْغِ الْرِّسَالَةِ، وَتَحْطِيْمِ الْشِّرْكِ وَالْوَثَنِيَّةِ، وَنَشْرِ الْعَدَالَةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ وَالإِخَاءِ وَالْمَحَبَّةِ بَيْنَ الأَفْرَادِ وَالأُمَمِ وَالْشُّعُوْبِ، وَإِخْرَاجِ الْنَّاسِ مِنْ ظُلُمَاتِ الْجَهْلِ إِلَى نُوْرِ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ، وَمَكَانٌ يَنْبَعِثُ مِنْهُ بَرِيْدُ الإِسْلاَمِ بِالأَخْبَارِ وَالإِمْدَادَاتِ الْرُّوْحِيَّةِ وَالْمَادِّيَّةِ، وَتَخْرُجُ مِنْهُ رَسَائِلُ الْقَائِدِ الأَعْظَمِ إِلَى قَادَةِ الْجُيُوْشِ وَأُمَرَاءِ الْوِلاَيَاتِ لِتَبْيِينِ حُكْمٍ شَرْعِيٍّ، أَوْ إِخْبَارٍ بِتَدْبِيْرٍ سِيَاسِيٍّ أَوْ حَرْبِيٍّ، أَوْ عَقْدِ مُعَاهَدَةِ صُلْحٍ أَوْ هُدْنَةِ حَرْبٍ، وَيَتَلَقَّى فِيْهِ بَرِيْدَ الْمُجَاهِدِيْنَ وَرُسُلَ الْقَادَةِ بِبَشَائِرَ الْنَّصْرِ أَوْ طَلَبِ الْعَوْنِ وَالْمَدَدِ، وَتُسْتَقْبَلَ فِيْهِ أَمْوَالُ الْغَنَائِمِ لِتُقَسَّمَ بَيْنَ مُسْتَحِقِّيْهَا، وَيُسْتَقْبَلَ فِيْهِ وَفِي رِحَابِهِ الأَسْرَى لِيَقْضِي فِيْهِمْ رَسُوْلُ اللهِ ρ بِمَا أَرَاهُ اللهُ، وَتُرَاقَبَ مِنْهُ حَرَكَاتُ أَعْدَاءِ الإِسْلاَمِ الْظَّاهِرِيْنَ مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ وَالْيَهُوْدِ وَالأَخْفِيَاءِ مِنَ الْمُنَافِقِيْنَ وَمَرْضَى الْقُلُوْبِ.

فَهَذَا الْمَسْجِدُ الأَعْظَمُ إِنَّمَا بَدَأَ بِتَأْسِيْسِهِ وَبِنَائِهِ رَسُوْلُ اللهِ ρ أَوَّلَ مَا بَدَأَ مِنْ عَمَلٍ فِي مُسْتَقَرِّهِ وَدَارِ هِجْرَتِهِ فِي مَطْلَعِ مَقْدَمِهِ لِيَكُوْنَ نَمُوْذَجًا يُحْتَذَى فِي بَسَاطَةِ الْمَظْهَرِ، وَعُمْقِ وَعُمُوْمِ الْمَخْبَرِ، لِيُحَقِّقَ بِهِ أَعْظَمَ الأَهْدَافِ، وَأَعَمَّهَا بِأَقَلَّ وَأَيْسَرَ الْمَشَقَّاتِ.

فَهُوَ قَدْ أُنْشِئَ لِيَكُوْنَ مُتَعَبَّدًا لِصَلاَةِ الْمُؤْمِنِيْنَ وَذِكْرِهِمْ للهِ تَعَالَى، وَتَسْبِيْحِهِمْ لَهُ، وَتَقْدِيْسِهِمْ إِيَّاهُ، يَدْخُلُهُ كُلُّ مُسْلِمٍ وَيُقِيْمُ فِيْهِ صَلاَتَهُ وَعِبَادَاتِهِ، لاَ يُضَارُّهُ أَحَدٌ، مَا دَامَ حَافِظًا لِقَدَاسَتِهِ وَمُؤَدِّيًا حَقَّ حُرْمَتِهِ.

وَهُوَ قَدْ أُنْشِئَ لِيَكُوْنَ مُلْتَقَى رَسُوْلِ اللهِ ρ بِأَصْحَابِهِ وَالْوَافِدِيْنَ عَلَيْهِ، طَلَبًا لِلْهِدَايَةِ وَرَغْبَةً فِي الإِيْمَانِ بِدَعْوَتِهِ وَتَصْدِيْقِ رِسَالَتِهِ، وَلِيَكُوْنَ مَهْبَطًا لِلْوَحْيِ وَتَنْزِلاَتِهِ بِآيَاتِ اللهِ وَشَرَائِعِهِ وَأَحْكَامِهِ.

([24]) ينظر: النور الخالد محمد ρ مفخرة الإنسانية، محمد فتح الله كولن، ص391.

([25]) ينظر: الأساس في السنة وفقهها، القسم الأول للسيرة النبوية، سعيد حوى، ج1 ص365، ط ثالثة، 1416هـ 1995م، دار السلام.

وَهُوَ قَدْ أُنْشِئَ لِيَكُوْنَ جَامِعَةً لِلْعُلُوْمِ وَالْمَعَارِفِ الْكَوْنِيَّةِ وَالْعَقْلِيَّةِ وَالتَّنْزِيْلِيَّةِ، الَّتِي حَثَّ الْقُرْآنُ عَلَى النَّظَرِ فِيْهَا، وَلِيَكُوْنَ مَدْرَسَةً يَتَدَارَسُ فِيْهَا الْمُؤْمِنُوْنَ أَفْكَارَهُمْ وَثَمَرَاتِ عُقُوْلِهِمْ، وَمَعْهَدًا يَؤُمُّهُ طُلَّابُ الْعِلْمِ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ لِيَتَفَقَّهُوْا فِي الدِّيْنِ وَيَرْجِعُوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُبَشِّرِيْنَ وَمُنْذِرِيْنَ..."[26].

وَأَصَّلَ الدُّكْتُوْر مُحَمَّد أَبُوْ فَارِس لِدَوْرِ الْمَسْجِدِ النَّبَوِيّ فِي تَحْقِيْقِ مَعْنَى الشُّمُوْلِ الَّذِي وَصَفَ بِهِ هَذَا الْمَسْجِدَ الأَعْظَمَ، وَالَّذِي يَنْبَغِي أَنْ تَتَّصِفَ بِهِ كُلُّ مَسَاجِدِ الأُمَّةِ، وَبِخَاصَّةٍ مَسَاجِدَ الْوَقْتِ الْحَاضِرِ.

حَيْثُ يَقُوْلُ: (كَانَ الْمَسْجِدُ مِنْبَرَ إِعْلاَمٍ وَإِشْعَاعِ فِكْرِيٍّ بِالْنِّسْبَةِ لِلْمُسْلِمِيْنَ، يَجْتَمِعُوْنَ فِيْهِ لِلْبَحْثِ فِي قَضَايَاهُمُ الْعَامَّةِ، يَتَعَارَفُوْنَ فِيْهِ، يَتَكَاتَفُوْنَ، وَيَتَكَافَلُوْنَ، وَيَتَزَاوَرُوْنَ، وَيَتَحَارَبُوْنَ، وَيُحَدِّثُهُمُ الرَّسُوْلُ ρ عَنْ قَضَايَاهُمْ، وَيُقَدِّمُ لَهُمُ الْحُلُوْلَ لَهَا، وَيَضَعُهُمْ فِي آخِرِ الأَخْبَارِ عَنْ أَحْوَالِ الْغَزَوَاتِ، وَكَانَ الْمَسْجِدُ مَقَرًّا لِلْقَضَاءِ، يَقْضِي الرَّسُوْلُ ρ فِيْهِ بَيْنَ الْمُتَخَاصِمِيْنَ، وَكَانَ الْمَسْجِدُ مَقَرًّا لِلْشُّوْرَى يَسْتَشِيْرُ الرَّسُوْلُ ρ الْمُسْلِمِيْنَ فِيْهِ، فَهُوَ بِمَثَابَةِ مَجْلِسِ الأُمَّةِ، تُعْرَضُ فِيْهِ قَضَايَاهَا الاجْتِمَاعِيَّةِ وَالْسِّيَاسِيَّةِ وَالاقْتِصَادِيَّةِ، وَيُفَكِّرُ الْمُسْلِمُوْنَ وَأَهْلُ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ خَاصَّةً بِإِيْجَادِ الْحُلُوْلِ الْمُنَاسِبَةِ لِتِلْكَ الْقَضَايَا، فِي جَوٍّ مِنَ الْحُرِّيَّةِ فِي التَّفْكِيْرِ وَإِبْدَاءِ الرَّأْيِ، بَعِيْدًا عَنِ الْقَمْعِ وَالإِرْهَابِ الْفِكْرِيّ)[27].

وَمِنْ خِلاَلِ هَذِهِ الْمَفَاهِيْمُ وَالاسْتِنْبَاطَاتُ وَالتَّحْلِيْلاَتُ الدَّقِيْقَةِ لِكَثِيْرٍ مِنْ نُصُوْصِ الْسِّيْرَةِ نَلْحَظُ وَبِجَلاَءٍ الْمَفْهُوْمَ الْكَبِيْرِ لِشُمُوْلِ هَذِهِ الْسِّيْرَةِ الْمُبَارَكَةِ فِي كِتَابَاتِ الْدُّعَاةِ الْمُعَاصِرِيْنَ.

وَبِهَذِهِ الْجُهُوْدُ الْمُبَارَكَةِ فِي تَأْصِيْلِ مَفْهُوْمِ الْشُّمُوْلِ فِي نُصُوْصِ الْسِّيْرَةِ انْطَلَقَتْ مَعَالِمُ الْدَّعْوَةِ الإِسْلاَمِيَّةِ بِمَفْهُوْمِهَا الْشَّامِلِ خُرُوْجًا مِنْ بَوْتَقَةِ الْمَوْضُوْعَاتِ الْمُحَدَّدَةِ سَوَاءٌ فِي مَجَالِ الْعَقَائِدِ أَو الْعِبَادَاتِ أَو الْمُعَامَلاَتِ، إِلَى رَحَابَةِ الْدَّعْوَةِ التَّطْبِيْقِيَّةِ الْشَّامِلَةِ لِأُمُوْرِ الْدُّنْيَا وَالْدِّيْنِ. وَكَذَا الْخُرُوْجُ عَنِ نِطَاقِ الْوَسَائِلِ الْدَّعَوِيَّةِ الْتَّقْلِيْدِيَّةِ إِلَى فَنِّ وَمَهَارَاتِ الْدَّعْوَةِ الْحَدِيْثَةِ فِي الْتَّنَوُّعِ وَالإِبْدَاعِ وَاسْتِغْلاَلِ الْفُرَصِ مِنَ الْمَكَانِ وَالْزَّمَانِ.

فَضْلاً عَنِ انْتِقَالِ الْدَّعْوَةِ مِنْ حَيَاةِ الأَعْمَالِ الْفَرْدِيَّةِ وَالارْتِجَالِيَّةِ، إِلَى الأَدَاءِ الْمُؤَسَّسِيّ الْمُوَصَّلِ، وَالْقَائِمِ عَلَى مُعْطَيَاتِ وَأَعْمَالِ الْلِّجَانِ الْمُتَخَصِّصَةِ، وَالاهْتِمَامِ بِكَافَّةِ أَطْيَافِ الْمُجْتَمَعِ.

وَقَدْ أَفَادَ الْدَّعْوَةَ الإِسْلاَمِيَّةِ انْتِشَارُ مِثْلَ هَذِهِ الْمَفَاهِيْمِ فِي مَجَالاَتٍ مُتَعَدِّدَةٍ، وَأَشْكَالٍ مُخْتَلِفَةٍ، مِنْهَا عَلَى سَبِيْلِ الْمِثَالِ:

- سُهُوْلَةُ تَصْنِيْفِ كَافَّةِ شَرَائِحِ الْمَدْعُوِّيْنَ، مِمَّا قَدْ يَصْعُبُ الْتَّعَرُّفُ عَلَيْهِمْ وَدَعْوَتِهِمْ بِطُرَائِقَ وَسَائِلَ الْدَّعْوَةِ الْتَّقْلِيْدِيَّةِ.
- تُصْبِحُ الْدَّعْوَةُ أَكْثَرَ سَلاَسَةً وَفَاعِلِيَّةً وَوَاقِعًا مَلْمُوْسًا، وَحَيَاةً جَمِيْلَةً فِي وَاقِعِ الْنَّاسِ وَاسْتِشْرَافًا لِمُسْتَقْبَلٍ وَاعِدٍ بِاحْتِرَامِ الْنِّظَامِ، وَالْتِزَامِ الْتَّعْلِيْمَاتِ، وَالْمُحَافَظَةِ عَلَى الْقِيَمِ الْفَاضِلَةِ، وَالْتَّمَسُّكِ بِالْمَبَادِئِ الْكَرِيْمَةِ فِي الْحِلِّ وَالْتِّرْحَالِ، وَفِي مَكَانِ الْعَمَلِ، وَمَقَرِّ الإِقَامَةِ، وَفِي الْطَّرِيْقِ، أَوِ الْسُّوْقِ أَو أَمَاكِنِ الْمُتَنَزَّهَاتِ الْعَامَّةِ، وَيَبْنِي عَلَى أُسُسِهَا مُسْتَقْبَلاً مَنْشُوْدًا.
- بِشُمُوْلِيَّةِ الْدَّعْوَةِ لَنْ يَنْسَ الْدَّاعِي أَنَّ ذَلِكَ مِمَّا حَثَّ عَلَيْهِ الْدِّيْنُ الإِسْلاَمِيّ الْحَنِيْفِ فِي كُلِّ جُزْئِيَّةٍ مِنْ جُزْئِيَّاتِ الْحَيَاةِ، وَمِن الْصِّفَاتِ الْسُّلُوْكِيَّةِ الَّتِي رَغَّبَ فِي الْتَّحَلِّي بِهَا، لِمَا فِيْهَا مِنْ مُلاَءَمَةٍ لِطَبِيْعَةِ وَشَخْصِيَّةِ الإِنْسَانِ الْمُسْلِمِ الْصَّالِحِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، وَلِأَنَّهُ يَتَرَتَّبُ عَلَيْهَا الْكَثِيْرَ مِنَ الْنَّتَائِجِ الإِيْجَابِيَّةِ فِي حَيَاةِ الْفَرْدِ وَالْمُجْتَمَعِ.
- اسْتِشْعَارُ شُمُوْلِيَّةُ الْدَّعْوَةِ يُعْطِي الْمُسْلِمَ الْفَهْمَ الْصَّحِيْحِ وَالإِدْرَاكِ الْوَاسِعِ بِأَنَّهُ لاَ يَلْزَمُ الْمُسْلِمَ أَنْ يَكُوْنَ دَاعِيًا إِلَى اللهِ تَعَالَى أَنْ يَعْتَلِي الْمَنَابِرَ، أَوْ أَنْ يَقِفَ أَمَامَ الْجُمُوْعِ فَيَخْطُبَ وَيَعِظَ وَيُدَرِّسَ الْعِلْمَ الْشَّرْعِيّ؛ فَطُرُقُ الْدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ تَعَالَى كَثِيْرَةٌ جِدًّا، وَمَجَالاَتُهَا مُتَعَدِّدَةٌ، وَأَسَالِيْبُهَا مُتَنَوِّعَةٌ؛ فَالْنَّصِيْحَةُ الْصَّادِقَةُ دَعْوَةٌ، وَالْبَشَاشَةُ وَالْتَّبَسُّمُ وَالْهَدِيَّةُ دَعْوَةٌ، وَالإِحْسَانُ إِلَى الْنَّاسِ دَعْوَةٌ، وَالْمُعَامَلَةُ الْحَسَنَةُ لِلآخَرِيْنَ دَعْوَةٌ، وَزِيَارَةُ الأَقَارِبِ وَالأَرْحَامِ دَعْوَةٌ، وَإِصْلاَحُ ذَاتِ الْبَيْنِ دَعْوَةٌ، وَالْتَّلَطُّفُ مَعَ الآخَرِيْنَ وَالْصَّدَقَةُ وَمُسَاعَدَةُ الْمُحْتَاجِيْنَ وَإِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الْطَّرِيْقِ دَعْوَةٌ، وَالْتِزَامُ هَدْيِ الْنُّبُوَّةِ فِي الْحَيَاةِ دَعْوَةٌ، ...الخ.
- مِنْ خِلاَلِ تَطْبِيْقِ هَذِهِ الْمَنْهَجِيَّةِ وَاقِعًا مَلْمُوْسًا تَهَافَتَتْ شُبُهَاتُ الْنَّاعِقِيْنَ بِتَحْجِيْمِ طُرُقِ الْدَّعْوَةِ وَتَقْزِيْمِ الإِسْلاَمِ الْعَظِيْمِ، وَاتِّهَامِه بِالْتَّخَلُّفِ وَالْرَّجْعِيَّةِ.

([26]) ينظر محمد رسول الله ρ منهج ورسالة – بحث محقق، بقلم محمد الصادق إبراهيم عرجون (3/29- 33) بتصرف. ط الثالثة 1430ه- 2009م، دار القلم.

(27) ينظر: السيرة النبوية دراسة تحليلية، محمد أبو فارس، ص262، 263 بتصرف يسير.

الْمَطْلَبُ الثَّالِثُ: الْمَنْهَجُ الدَّعَوِيّ الاسْتِيْعَابِيّ

جَاءَ فِي تَفْسِيْرِ الْطَّبَرِيّ رَحِمَهُ اللهُ: « الْرَّبَّانِيُّوْنَ فَوْقَ الأَحْبَار؛ لِأَنَّ الأَحْبَارَ هُمْ الْعُلَمَاءُ، وَالْرَّبَّانِيُّ الْجَامِعُ إِلَى الْعِلْمِ وَالْفِقْهِ الْبَصَرُ بِالْسِّيَاسَةِ وَالْتَّدْبِيْرِ وَالْقِيَامِ بِأُمُوْرِ الْرَّعِيَّةِ، وَمَا يُصْلِحُهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ وَدِيْنِهِمْ»[28].

وَلِهَذَا نَجِدُ الْقُرْآنَ يُؤَسِّسُ لِمُؤَهِّلَاتِ الْفَقِيْهِ الَّذِي يَمْلِكُ الْتَّصَدِّي لِلْقَضَايَا الْسِّيَاسِيَّةِ، وَأَنَّهُ لاَ بُدَّ أَنْ يَكُوْنَ وَاعِيًا وَاقِعَهُ، وَتَشَابُكَ الْمَصَالِحِ، قَادِرًا عَلَى تَدْبِيْرِ الأُمُوْرِ، وَهَذَا يَعْنِي امْتِلاَكُ مَهَارَاتٍ؛ كَإِدَارَةِ الْصِّرَاعِ وَحُسْنِ تَدْبِيْرِهِ.

وَكَذَلِكَ أَهَمَّ مَا تَحْتَاجُهُ المَنَاهِجُ الْدَّعَوِيَّةِ الْيَوْمَ: الْعِلْمُ، وَالْوَعْيُ الاسْتِيْعَابِيّ بِوَاقِعِ الْدَّعْوَةِ؛ وَالْفِئَةُ الَّتِي تَفْتَقِدُ المَعْرِفَةِ بِفِقْهِ الْوَاقِعِ الْدَّعَوِيّ، وَتَتَقَوْقَعُ عَلَى نَفْسِهَا فِي عَالَمِ الْيَوْمِ، تَخْسَرُ مِنْ اتِّبَاعِهَا الْكَثِيْرَ، وَتُحْرَمُ مِنَ الْدُّخُوْلِ الْجَدِيْدِ فِي دِيْنِ اللهِ.

فَهَا نَحْنُ نَرَاهُ ρ يُوَجِّهُ الْمُسْتَضْعَفِيْنَ مِنْ صَحَابَتِهِ بِالْهِجْرَةِ إِلَى الْحَبَشَةِ، وَهَذَا بُرْهَانٌ سَاطِعٌ عَلَى مَعْرِفَتِهِ ρ بِمَا يَدُوْرُ حَوْلَهُ، وَأَحْوَالُ الأُمَمِ الْمُعَاصِرَةِ لَهُ.

فَلِمَاذَا لَمْ يُرْسِلْ الْصَّحَابَةَ إِلَى فَارِسَ أَوِ الْرُّوْمِ أَوْ غَيْرِهِمَا؟

وَلِمَاذَا اخْتَارَ الْحَبَشَةَ؟

يُبَيِّنُ ذَلِكَ ρ بِقَوْلِهِ: « **إِنَّ فِيْهَا مَلِكًا لاَ يُظْلَمُ عِنْدَهُ أَحَدٌ**».

وَفِي الْسِّيْرَةِ الْنَّبَوِيَّةِ أَمْثِلَةٍ كَثِيْرَةٍ تُبَيِّنُ اهْتِمَامَ الْنَّبِيِّ ρ بِالْوَاقِعِ الْمُحِيْطِ بِهِ ρ.

وَالَّذِي لاَ شَكَّ فِيْهِ أَنَّ الْدُّعَاةَ كَبَقِيَّةِ الْنَّاسِ يَتَفَاوَتُوْنَ فِي قُدُرَاتِهِمْ عَلَى الاسْتِيْعَابِ، وَلَكِنَّ الَّذِي لاَ بُدَّ مِنْهُ كَذَلِكَ أَنْ يَتَمَتَّعَ كُلّ دَاعِيَةٍ بِحَدٍ أَدْنَى مِنَ الْقُدْرَةِ عَلَى الاسْتِيْعَابِ؛ لِأَنَّهُ بِغَيْرِهَا لاَ يَكُوْنُ دَاعِيَةً أَوْ عَامِلًا فِي إِطَارِ الْدَّعْوَةِ.

إِنَّ عَدَمَ تَوَفُّرِ الْحَدِّ الأَدْنَى مِنَ الْقُدْرَةِ عَلَى الاسْتِيْعَابِ قَدْ لاَ تَجْعَلُ الْدَّاعِيَةَ عَدِيْمُ الإِنْتَاجِ عَدِيْمُ الْفَائِدَةِ فَحَسْب؛ بَلْ قَدْ تَجْعَلُهُ مُسِيْئًا لِلإِنْتَاجِ، مُسَبِّبًا الْضَّرَرَ لِلإِسْلاَمِ وَإِخْوَانِهِ الْدُّعَاةُ عَلَى حَدٍّ سَوَاءٍ.

فَكَمْ مِنْ أُنَاسٍ اعْتُبِرُوْا دُعَاةً أَوْ عَامِلِيْنَ فِي الْحَقْلِ الإِسْلاَمِيّ أَضَرُّوْا وَلَمْ يَنْفَعُوْا، وَهَدَمُوْا وَلَمْ يَبْنُوْا، وَنَفَّرُوْا وَلَمْ يُبَشِّرُوْا، وَكَانُوْا حُجَّةً عَلَى الْدَّعْوَةِ بَيْنَ أَبْنَائِهَا وَأَعْدَائِهَا.

وَكَمْ مِنْ آخَرِيْنَ عَاشُوْا فِي أَجْوَاءِ الْدَّعْوَةِ وَنَهَلُوْا مِنْ مَبَادِئِهَا، وَلَكِنْ دُوْنَ أَنْ يَتْقُلُوْا أَجْوَاءَهَا وَمَبَادِئَهَا خُطْوَةً وَاحِدَةً خَارِجَ إِطَارِهَا.

وَهُنَاكَ آخَرُوْنَ كَانُوْا فِي الْدَّعْوَةِ، وَكَانَتْ بِهِمْ الْدَّعْوَةَ، وَعَاشُوْا فِيْهَا، وَعَاشَتْ بِهِمْ، أُوْلَئِكَ هُمُ الْدُّعَاةُ حَقًّا، وَأُوْلَئِكَ هُمْ رِجَالُهَا، وَالَّذِيْنَ يَحْتَاجُ الإِسْلاَمُ إِلَيْهِمْ وَإِلَى أَمْثَالِهِمْ لِرَفْعِ رَايَتِهِ، وَبِنَاءِ دَوْلَتِهِ، وَإِقَامَةِ حُجَّتِهِ عَلَى الْعَالَمِيْنَ.

إِذَنْ لاَ نَجَاحَ بِدُوْنِ قُدْرَةٍ عَلَى الاسْتِيْعَابِ، وَالْدَّعْوَةُ الْغَنِيَّةِ بِالْدُّعَاةِ الْقَادِرِيْنَ عَلَى اجْتِذَابِ الْنَّاسِ إِلَى الإِسْلاَمِ وَأَهْلِهِ، يُصْبِحُ حَظُّهَا مِنَ الْنَّجَاحِ وَمِنْ تَحْقِيْقِ أَهْدَافِهَا قَوِيًّا إِذَا مَا تَوَفَّرَتْ لَهَا الْمَنَاخَاتِ الْلاَّزِمَةِ وَالْشُّرُوْطِ الأُخْرَى.

مِنْ هُنَا نَلْمَسُ وَبِوُضُوْحٍ مَدَى اسْتِيْعَابُ دَعْوَةِ الْنَّبِيِّ ρ لِأَصْنَافِ الْنَّاسِ عَلَى اخْتِلاَفِ مَشَارِبِهِمْ وَأَجْنَاسِهِمْ وَأَعْمَارِهِمْ وَبُلْدَانِهِمْ، وَذَلِكَ مِنْ خِلاَلِ تَرْكِيْزِ كُتَّابِ الْسِّيْرَةِ الْمُعَاصِرَةِ عَلَى إِبْرَازِ نُصُوْصِ الْسِّيْرَةِ الْدَّالَّةِ عَلَى اسْتِيْعَابِ أَجْنَاسِ الْنَّاسِ وَأَطْيَافِهِمْ الْمُخْتَلِفَةِ.

مِمَّا يُؤَهِّلُ الْدَّاعِيَةَ لاسْتِشْعَارِ مِثْلِ هَذَا الأَمْرِ الْعَظِيْمِ وَإِكْسَابِهِ دِرَايَةً تَامَّةً بِنُصُوْصِ الْسِّيْرَةِ الْنَّبَوِيَّةِ الْمُطَهَّرَةِ، وَأَنَّهَا فِي الْحَقِيْقَةِ تَسَعُ الْمَكَانَ وَالْزَّمَانَ وَالإِنْسَانَ فَكَانَتْ الْدَّعْوَةُ فِي حَيَاةِ دُعَاةِ الْعَصْرِ: عَالَمِيَّةُ الْرِّسَالَةِ وَالْتَّوَجُّهِ، مُتَجَدِّدَةُ الْوَسَائِلِ وَالأَهْدَافِ.

وَيَلْمَسُ الْدُّعَاةُ إِلَى اللهِ فِي كُتُبِ الْسِّيَرِ الْمُعَاصِرَةِ الْوُقُوْفَ عَلَى مَنْهَجِ الْنَّبِيِّ ρ فِي جَمْعِ الْكَلِمَةِ وَتَأْلِيْفِ الْقُلُوْبِ وَرَأْبِ الْصَّدْعِ كُلُّ ذَلِكَ فِي دَائِرَةِ الْعَدْلِ وَالإِنْصَافِ وَالْحِكْمَةِ، كَمَا حَصَلَ يَوْمَ حُنَيْنٍ، عِنْدَ قِسْمَةِ الْغَنَائِمِ [29].

يَقُوْلُ الْدُّكْتُوْر: مُصْطَفَى الْسِّبَاعِيّ عِنْدَ تَعْلِيْقِهِ عَلَى مِثْلِ هَذِهِ الْحَادِثَةِ الْعَظِيْمَةِ:

(الإِسْلاَمُ دِيْنُ هِدَايَةٍ وَإِصْلاَحٍ، فَلاَ يُكْتَفَى بِفَرْضِ سُلْطَانِهِ بِالْقَهْرِ وَالْغَلَبَةِ، كَمَا تَفْعَلُ كَثِيْرٌ مِنَ الْنُّظُمِ الَّتِي تَعْتَمِدُ فِي قِيَامِهَا وَبَقَائِهَا عَلَى الْقُوَّةِ دُوْنَ اسْتِجَابَةِ الْنُّفُوْسِ وَالْقُلُوْبِ، بَلْ لاَ بُدَّ مِنْ تَفَتُّحِ الْقُلُوْبِ لَهُ، وَاسْتِبْشَارِهَا بِهِدَايَتِهِ، وَتَعَشُّقِهَا لِمَبَادِئِهِ وَمُثُلِهِ، وَمَا دَامَ الْعَطَاءُ عِنْدَ بَعْضِ الْنَّاسِ مُفِيْدًا فِي اسْتِصْلاَحِ قُلُوْبِهِمْ وَغَسْلِ عَدَاوَاتِهِمْ، فَالْحِكْمَةُ كُلّ الْحِكْمَةِ أَنْ تُعْطَى حَتَّى تَرْضَى، كَمَا فَعَلَ رَسُوْلُ اللهِ ρ.

فَإِذَا صَلُحَتْ نُفُوْسُ أَشْرَافِهِمْ بِهَذِهِ الأُعْطِيَاتِ، تَفَتَّحَتْ قُلُوْبُهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لِنُوْرِ الْدَّعْوَةِ، وَحَمْلِ أَعْبَائِهَا، وَهَذَا هُوَ الَّذِي حَصَلَ، فَإِنَّهُ بَعْدَ أَنْ تَأَلَّفَ رَسُوْلُ اللهِ ρ قُلُوْبَ هَؤُلاَءِ الْزُّعَمَاءِ، زَالَتْ مِنْ نُفُوْسِهِمْ كُلَّ مَوْجِدَةٍ وَحِقْدٍ عَلَى الإِسْلاَمِ وَدَعْوَتِهِ) [30].

وَيُشِيْرُ الْدُّكْتُوْر: مُنِيْرُ الْغَضْبَانَ إِلَى أَهَمِّيَّةِ الْتَّعَرُّفِ عَلَى أَنْمَاطِ الْشَّخْصِيَّاتِ وَنَفْسِيَّاتِ الْمُلُوْكِ وَالْقَادَةِ وَالأُمَرَاءِ، وَإِنْزَالِ الْنَّاسِ مَنَازِلَهُمْ، وَأَنَّ الإِسْلاَمَ دِيْنُ الْسَّلاَمِ وَهُوَ يَجُبُّ مَا قَبْلَهُ، حَيْثُ يَقُوْلُ عِنْدَ تَعْلِيْقِهِ عَلَى مُرَاسَلاَتِ الْنَّبِيِّ ρ إِلَى الْمُلُوْكِ وَقَادَةِ الأُمَمِ آنَذَاكَ:

([28]) ينظر: تفسيره، 6/ 544.

([29]) ينظر: تهذيب سيرة بن هشام، عبد السلام هارون، ص 274.

([30]) ينظر: السيرة النبوية دروس وعبر، مصطفى السباعي ص 149.

(نُلاَحِظُ أَنَّ الرَّسُوْلَ ρ كَانَ يَضْرِبُ عَلَى الأَوْتَارِ النَّفْسِيَّةِ الَّتِي يَخْشَاهَا الْحَاكِمُوْنَ، فَكَانَتْ رُسُلُهُ تُطَمْئِنُ هَؤُلاَءِ الْحَاكِمِيْنَ عَلَى مُلْكِهِمْ، وَأَنَّهُ سَيُحْفَظُ لَهُمْ إِذَا دَخَلُوْا فِي الإِسْلاَمِ، حَتَّى أُوْلَئِكَ الَّذِيْنَ عَادُوْا الإِسْلاَمَ وَحَارَبُوْهُ، لَمْ يَكُنْ الْغَيْظُ أَوِ الْحِقْدُ لِيُغَيِّرَ هَذِهِ السِّيَاسَةَ، بَلْ كَانَ إِكْرَامُهُمْ هُوَ الأَسَاسُ بَعْدَ دُخُوْلِهِمْ فِي الإِسْلاَمِ، أَوْ حَتَّى بَعْدَ انْقِطَاعِهِمْ عَنْ حَرْبِهِ) [31].

وَيُشِيْرُ أَيْضًا إِلَى وُجُوْبِ اسْتِيْعَابِ كَافَّةِ عَنَاصِرِ الدَّعْوَةِ سَوَاءٌ مِنَ الْشَّبَابِ أَوِ الْفَتَيَاتِ كُلٌّ فِي مَوْقِعِهِ، وَمَا يَسْتَطِيْعُهُ دُوْنَ الْتَّقْلِيْلِ مِنْ شَأْنِ جِنْسٍ عَلَى آخَر.

(لَقَدْ كَانَ عَلَيْهِ الْصَّلاَةُ وَالْسَّلاَمُ يُمَثِّلُ الْقَائِدَ الْفَذّ فِي الْوُجُوْدِ، الَّذِي يَخْتَارُ أَقْدَرَ الْعَنَاصِرِ عَلَى تَأْدِيَةِ الْدَّوْرِ الْمَطْلُوْبِ مِنْهَا فَيُفَجِّرَ طَاقَاتِهَا، وَيُعْطِيْهَا مِنَ الْدَّوْرِ مَا يَتَنَاسَبُ مَعَ إِمْكَانَاتِهَا، سَوَاءٌ كَانَتِ الْطَّاقَاتُ أَطْفَالاً (جَابِر وَعَائِشَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا) أَوْ رِجَالاً وَفَتَيَاتٍ (أَسْمَاء وَعَبْدُ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا) أَوْ نِسَاءً (أُمّ عَمَّار وَأُمّ مَنِيْع رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا)، فَيُؤَدِّي كُلّ وَاحِدٍ دَوْرَهُ فِي الْمُخَطَّطِ الْكَبِيْرِ الَّذِي يَقِفُ وَحْدَهُ عَلَى كُلّ تَفَاصِيْلِهِ مَعَ وَزِيْرِهِ أَبِي بَكْرٍ τ، ...

وَإِنَّ أَيّ دَعْوَةٍ إِلَى اللهِ تَعَالَى تَقُوْمُ، لاَ بُدَّ أَنْ يَكُوْنَ عِمَادُهَا وَدَمُهَا عُنْصُرَ الْشَّبَابِ الْحَيّ الْمُضَحّي، الَّذِي يَرْتَادُ الْمَخَاطِرَ وَيَقْتَحِمُ الْصِّعَابَ، وَيَسْتَسْهِلُ الْمَشَاقّ، وَيَتَلَذَّذُ بِالْجِهَادِ، لاَ يَعْرِفُ الْخَوْفُ أَوِ الْخَوَرُ أَوِ الْوَهَنُ سَبِيْلاً إِلَيْهِ، وَلاَ يَقِلّ دَوْرُ الْفَتَاةِ الْمُسْلِمَةِ عَنْ دَوْرِ الْفَتَى الْمُسْلِمِ، فَقَدْ رَأَيْنَاهَا شَرِيْكَةً فِي الْبَيْعَةِ، شَرِيْكَةً فِي الْهِجْرَةِ، شَرِيْكَةً فِي الْجِهَادِ، شَرِيْكَةً فِي الإِعْدَادِ، شَرِيْكَةً فِي الائْتِمَانِ عَلَى الْسِّرّ.

وَلَكِنَّ هَذَا كُلَّهُ، إِنَّمَا يَتِمّ ضِمْنَ الْمُخَطَّطِ الْوَاعِي الَّذِي يَضَعُ الْلَّبِنَةَ فِي مَكَانِهَا الأَصِيْلِ، وَيَضَعُ الْحُدُوْدَ وَالْمَعَايِيْرَ لِلاسْتِفَادَةِ مِنْ كُلّ طَاقَةٍ، وَمِنْ كُلّ إِمْكَانِيَّةٍ فِي عَمَلِيَّةِ الْتَّنْفِيْذِ الْعَمَلِيّ لإِقَامَةِ شَرِيْعَةِ اللهِ فِي الأَرْضِ)[32].

وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الأَمْثِلَةِ الَّتِي تُشْعِرُ الْدُّعَاةَ أَنَّ الاسْتِيْعَابَ ضَرُوْرَةٌ فِي الْدَّعْوَةِ.

وَلِتَحْقِيْقِ هَذَا الْمَبْدَأ الْعَظِيْمِ يَحْتَاجُ الْدَّاعِيَةُ إِلَى اسْتِخْدَامِ لُغَةِ الْقُلُوْبِ وَالْرَّحْمَةِ، وَفَهْمِ طَبَائِعَ الْنُّفُوْسِ بِالْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ.

مِنْ هُنَا نَشَأَ الْمَنْهَجُ الاسْتِيْعَابِيّ فِي الْدَّعْوَةِ، وَالَّذِي يَقُوْمُ عَلَى مَبْدَأ اسْتِيْعَابِ الْمَدْعُوّيْنَ فِي نَقْلِ الْدَّعْوَةِ إِلَيْهِمْ، وَتَبْلِيْغِهِمْ، مَعَ الْحِرْصِ الْشَّدِيْدِ عَلَى هِدَايَتِهِمْ وَنَقْلِهِمْ مِنَ الْظُّلُمَاتِ إِلَى الْنُّوْرِ. مَعَ تَقْدِيْرِ الْوَسِيْلَةِ الْمُنَاسِبَةِ لاحْتِوَائِهِمْ، وَالْبُعْدِ عَنِ الانْتِقَائِيَّةِ الْعَشْوَائِيَّةِ وَحُسْنِ اسْتِغْلاَلِ الْمُتَاحِ مِنَ الْوَسَائِلِ وَتَطْوِيْعِهَا لِلْوَاقِعِ بِالْحُسْنَى.

وَلَقَدْ ظَهَرَتْ فِي كِتَابَاتِ الْدَّعْوَةِ الْمُعَاصِرَةِ عِدَّةُ مَظَاهِرَ تَدُلُّ عَلَى تَبَنِّي هَذِهِ الْمَنْهَجِيَّةِ الاسْتِيْعَابِيَّةِ بَيْنَ مَجْمُوْعَةٍ عَرِيْضَةٍ مِنَ الْدُّعَاةِ فِي الْعَصْرِ الْحَدِيْثِ، مِنْهَا:

ـ مُحَاوَلَةُ الاسْتِيْعَابِ بِإِعْدَادِ الْكَوَادِرِ الْدَّعَوِيَّةِ الْمُخْتَلِفَةِ عَلَى مُسْتَوَى الْعَالَمِ، وَتَأْهِيْلِهِمْ بِثَقَافَاتٍ، وَلُغَاتٍ مُتَنَوِّعَةٍ مُسْتَوْعِبِيْنَ بِذَلِكَ أَجْنَاسِهِمْ وَأَنْمَاطِهِمْ الْمُتَبَايِنَةِ.

- إِنَّ مِنْ لَوَازِمِ الْبَلاَغِ الْعَالَمِيّ، وُجُوْبُ اسْتِخْدَامِ شَرِيْحَةٍ مِنَ الْدُّعَاةِ بِمَا يُعْرَفُ بِشَبَكَاتِ الْتَّوَاصُلِ الاجْتِمَاعِيّ، لِلْوُصُوْلِ إِلَى أَكْبَرِ قَدْرٍ مِنَ الْنَّاسِ.

ـ أَصْبَحَ الإِسْلاَمُ مِنْ أَكْثَرِ الأَدْيَانِ دُخُوْلاً فِيْهِ، وانْتِشَارًا فِي الْعَالَمِ، مِنْ هُنَا وَجَبَ تَشْجِيْعَ الْدُّعَاةِ عَلَى تَمْثِيْلِ الإِسْلاَمِ وَالْتَّعْرِيْفِ بِهِ عَلَى كَافَّةِ الأَصْعِدَةِ وَالْمَجَالاَتِ.

ـ أَهَمِّيَّةُ الْمَرَاكِزِ الْعِلْمِيَّةِ حَوْلَ الْعَالَمِ لِلْتَّعْرِيْفِ بِالإِسْلاَمِ، وَنَبِيّ الرَّحْمَةِ ρ، وكَثْرَةُ وَتَنَوُّعُ وَسَائِلِ الْدَّعْوَةِ الْمُعَاصِرَةِ مِنَ الْمَطْبُوْعَاتِ وَالْمَرْئِيَّاتِ وَالْمَسْمُوْعَاتِ بِكُلّ أَنْوَاعِهَا وَطَرَائِقِهَا.

وَلاَ شَكَّ أَنَّ تَحَقُّقَ هَذِهِ الْمَنْهَجِيَّةِ بِنَجَاح، يَتَطَلَّبُ مِنَ الْدُّعَاةِ الإِحَاطَةِ والاسْتِيْعَابِ بِأَحْوَالِ الْمَدْعُوّيْنَ وَثَقَافَاتِهِمْ وَطَبَائِعِهِمْ وَغَرَائِزِهِمْ، إِلَى جَانِبِ عِلْمِ الْلُّغَةِ وَالْثَّقَافَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ، إِضَافَةً إِلَى الْعَدِيْدِ مِنْ مَهَارَاتِ الإِلْقَاءِ وَالْحِوَارِ وَالإِنْصَاتِ، مَعَ نَظَافَةِ الْقَلْبِ وَالْرُّوْحِ وَحُسْنِ الْظَّنّ بِالْنَّاسِ، وَمَحَبَّةِ الْخَيْرِ لِلْغَيْرِ.

([31]) ينظر: المنهج الحركي للسيرة، منير الغضبان، (57/3).
([32]) ينظر: فقه السيرة، منير الغضبان، (ص 348- 349)

الْمَطْلَبُ الرَّابِعُ: الْمَنْهَجُ الدَّعَوِيّ الْتَّخْطِيْطِيّ

مَفْهُوْمُ الْتَّخْطِيْطِ:

هُوَ مِنْ «خَطَّطَ: الْخَطُّ: الْطَّرِيْقَةُ المُسْتَطِيلةُ فِي الشَّيْءِ، وَالْجَمْعُ خُطُوطٌ؛ وَقَدْ جَمَعَهُ الْعَجَّاجُ عَلَى أَخْطاطٍ فَقَالَ: وشِمْنَ فِي الغُبارِ كَالأَخْطَاطِ.

وَيُقَالُ: الكَلأُ خُطُوْطٌ فِي الأَرْضِ أَي طَرَائِقُ لَمْ يَعُمَّ الغَيْثُ الْبِلاَدَ كُلَّها؛ وَاحِدَتُهَا خَطِيطةٌ، وَهِيَ طَرَائِقُ تُفارِقُ الشَّقائِق فِي غِلَظِها ولِينِها.

وَالْخَطُّ: الْطَّرِيْقُ، يُقَالُ: الْزَمْ ذَلِكَ الْخَطَّ وَلَا تَظْلِمْ عَنْهُ شَيْئًا؛ وخَطَّ القَلَمُ أَي كَتَبَ.

وخَطَّ الْشَّيْءَ يَخُطُّه خَطّاً: كَتَبَهُ بِقَلَمٍ أَو غَيْرِهِ؛ والتَّخْطِيطُ: التَّسْطِيرُ، التَّهْذِيبُ: التخْطيطُ كالتَّسْطِير، تَقُولُ: خُطِّطَتْ عَلَيْهِ ذنوبُه أَي سُطِّرَتْ» [33].

وَيُقَالُ: « فَلاَنٌ يَخُطُّ فِي الأَرْضِ إِذَا كَانَ يُفَكِّرُ فِي أَمْرِهِ، وَيُدَبِّرُهُ. والخَطُّ: خَطُّ الزَّاجِرِ، وَهُوَ أَن يخُطّ بإِصْبَعِه فِي الرَّمْلِ ويَزْجُر.

وخَطَّ الْزَّاجِرُ فِي الأَرْضِ يخُطُّ خَطًّا: عَمِلَ فِيْهَا خَطًّا بإِصْبَعِهِ وَثَوْبٌ مُخَطَّطٌ وكِسَاءٌ مُخَطَّطٌ: فِيهِ خُطُوْطٌ، وَكَذَلِكَ تَمْرٌ مُخَطَّط ووَحْشٌ مُخَطَّطٌ. وَخَطَّ وَجْهُهُ وَاخْتَطَّ: صَارَتْ فِيهِ خُطُوْطٌ. وَاخْتَطَّ الْغُلاَمُ أَي نَبَتَ عِذَارُهُ.

والخُطَّةُ: كَالْخَطِّ كَأَنَّهَا اسْمٌ لِلطَّرِيقَةِ. وَالمِخَطُّ، بِالْكَسْرِ: الْعُودُ الَّذِي يَخُطّ بِهِ الحائكُ الثوبَ. والمِخْطاطُ: عُود تُسَوَّى عَلَيْهِ الخُطوطُ.

والخَطُّ: الطَّرِيقُ؛ والخَطُّ: ضَرْبٌ مِنَ البَضْعِ، خَطَّها يَخُطُّها خَطّاً.

وَفِي التَّهْذِيبِ: وَيُقَالُ خَطَّ بِهَا فُسَاحًا. والخِطُّ والخِطَّةُ: الأَرْضُ تُنْزَلُ مِنْ غَيْرِ أَن يَنْزِلَهَا نَازِلٌ قَبْلَ ذَلِكَ. وَقَدْ خَطَّها لنَفْسِهِ خَطّاً واخْتَطَّها: وَهُوَ أَن يُعَلِّم عَلَيْهَا عَلامةً بالخَطِّ لِيُعْلَمَ أَنَّهُ قَدِ احْتَازَهَا لِيَبْنِيَها دَارًا، وَمِنْهُ خِطَطُ الْكُوْفَةِ وَالْبَصْرَةِ.

وَاخْتَطَّ فُلاَنٌ خِطَّةً إِذا تحَجَّر مَوْضِعًا وخَطَّ عَلَيْهِ بِجِدار، وَجَمْعُهَا الخِطَطُ. وكلُّ مَا حَظَرْتَه، فَقَدْ خطَطْتَ عَلَيْهِ. والخِطَّةُ، بِالْكَسْرِ: الأَرضُ. وَالدَّارُ يَخْتَطُّها الرَّجل فِي أَرض غَيْرِ مملوكةٍ لِيَتَحجَّرها ويَبْنِيَ فِيهَا» [34].

وَقَدْ عَرَّفَهُ أَحَدُ أَسَاتِذَةِ الإِدَارَةِ وَالْتَّخْطِيْطِ بِأَنَّهُ: « الْوَظِيْفَةُ الإِدَارِيَّةُ لِلْقِيَامِ بِأَيِّ نَشَاطٍ مِنَ الأَنْشِطَةِ، وَيَتَطَلَّبُ الْقِيَامُ بِهِ بِنَجَاحٍ: تَحْلِيْلِ الْبَيَانَاتِ عَنِ المَاضِي، وَاتِّخَاذِ قَرَارٍ فِي الْحَاضِرِ وَتَقْيِيْمٍ لِلْمُسْتَقْبَلِ » [35].

وَيُمْكِنُ تَلْخِيْصُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ مَعَانِي الْتَّخْطِيْطِ وَمُشْتَقَّاتِهِ، بِأَنَّهُ: « الاسْتِعْدَادُ فِي الْحَاضِرِ لِمَا يُوَاجِهُهُ الإِنْسَانُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، وَالْسِّيَرِ عَلَى طَرِيْقَةٍ وَنَمَطٍ خَاصٍّ وَمَدْرُوْسٍ لِتَحْقِيْقِ أَهْدَافٍ حَاضِرَةٍ وَمُسْتَقْبَلَةٍ» [36].

مَاهِيَّةُ الْتَّخْطِيْطِ:

لاَ شَكَّ أَنَّ كُلَّ دَاعِيَةٍ إِنَّمَا يَهْدِفُ مِنْ وَرَاءِ دَعْوَتِهِ إِلَى تَحْقِيْقِ جُمْلَةٍ مِنَ الأَهْدَافِ؛ وَلَدَيْهِ الْعَدِيْدَ مِنَ الْوَسَائِلِ لِتَحْقِيْقِ أَهْدَافِهِ، وَهُنَاكَ الْعَدِيْدَ مِنَ الْعَوَائِقِ وَالْصُّعُوْبَاتِ عِنْدَ رَسْمِ بَرَامِجِهِ.

وَهَذِهِ الْخَوَاطِرُ وَالْتَّسَاؤُلاَتُ تُبْرِزُ مَسِيْسَ الْحَاجَةِ إِلَى الْتَّخْطِيْطِ فِي بَرَامِجِنَا الْدَّعَوِيَّةِ؛ لِأَنَّ ضَعْفَ جَانِبِ الْتَّخْطِيْطِ أَحْيَانًا وَانْعِدَامِهِ فِي أَحْيَانٍ أُخْرَى أَسْهَمَ فِي إِضَاعَةِ وَتَشْتِيْتِ الْكَثِيْرِ مِنْ جُهُوْدِ الْدُّعَاةِ، وَأَضْعَفَ ثِمَارَ أَعْمَالِهِمْ الْدَّعَوِيَّةِ وَأَضْحَى الْكَثِيْرُ مِنَ الْبَرَامِجِ تُنَفَّذُ لِمُجَرَّدِ الْتَّنْفِيْذِ فَقَطْ أَوْ لِتَكُوْنَ أَرْقَامًا تُضَافُ إِلَى أَعْدَادِ الْبَرَامِجِ المُنَفَّذَةِ.

وَإِذَا تَأَمَّلْتَ فِي آثَارِهَا فَلاَ تَكَادُ تَجِدُ لَهَا أَثَرًا فِي الْوَاقِعِ أَوْ أَنَّهَا قَدْ حَقَّقَتِ الْحَدَّ الأَدْنَى مِنْ أَهْدَافِهَا، وَبِتَتَبُّعِ مُعْظَمِ الْسَّلْبِيَّاتِ فِي الْجُهُوْدِ الْدَّعَوِيَّةِ نَجِدُ أَنَّ الْكَثِيْرَ مِنْهَا يُمْكِنُ إِرْجَاعِهِ إِلَى ضَعْفٍ أَوِ انْعِدَامِ الْتَّخْطِيْطِ.

وَهَذَا لاَ يَعْنِي إِغْفَالُ الْعَوَامِلِ الأُخْرَى كَسَلاَمَةِ الْمَنْهَجِ وَإِخْلاَصِ الْنَّوَايَا لَدَى الْعَامِلِيْنَ، وَغَيْرِهَا، وَلَكِنْ تَبْقَى مِثْلَ هَذِهِ الْجَوَانِبِ قَدْ تَكُوْنَ مَعْلُوْمَةً لَدَى مُعْظَمِ الْدُّعَاةِ وَلَيْسَتْ بِخَافِيَةٍ كَمَا هُوَ حَالُ الْتَّخْطِيْطِ الَّذِي لاَ زَالَ قَلِيْلاً أَوْ شِبْهَ مَعْدُوْمٍ فِي وَاقِعِ كَثِيْرٍ مِنَ الْدُّعَاةِ أَوِ الْجِهَاتِ الْعَامِلَةِ فِي حَقْلِ الْدَّعْوَةِ؛ وَلاَ زَالَتْ الارْتِجَالِيَّةُ وَالْعَشْوَائِيَّةُ وَالْفَوْضَى المَالِيَّةِ وَالإِدَارِيَّةِ أَحْيَانًا هِيَ السِّمَةُ الْبَارِزَةُ فِي كَثِيْرٍ مِنَ الأَعْمَالِ الْدَّعَوِيَّةِ.

وَمِنْ هُنَا نَلْمَسُ الْهَمَّ الْكَبِيْرَ الَّذِي يَشْعُرُ بِهِ ثُلَّةٌ مِنَ الْدُّعَاةِ وَالْكُتَّابِ الْمُعَاصِرِيْنَ، وَالَّذِيْنَ اهْتَمُّوْا بِالْكِتَابَةِ فِي هَذَا الْجَانِبِ الْمُهِمِّ مِنْ جَوَانِبِ الْدَّعْوَةِ الْمُعَاصِرَةِ وَالَّتِي رَكَّزَتْ اهْتِمَامَهَا بِإِبْرَازِ أَهَمِّيَّةِ الإِدَارَةِ وَالْتَّخْطِيْطِ فِي الْسِّيْرَةِ الْنَّبَوِيَّةِ، كَكِتَابِ « أَبْعَادٍ إِدَارِيَّةٍ وَاقْتِصَادِيَّةٍ وَاجْتِمَاعِيَّةٍ وَتَقَنِيَّةٍ فِي الْسِّيْرَةِ الْنَّبَوِيَّةِ»، لِلْدُّكْتُوْر: عَبْدِ الْعَزِيْزِ بْنِ إِبْرَاهِيْمِ الْعُمَرِيّ، فَقَدْ اهْتَمَّ الْمُؤَلِّفُ بِإِبْرَازِ جَانِبِ الإِدَارَةِ وَالْتَّخْطِيْطِ فِي حَيَاةِ الْنَّبِيِّ ρ، يَقُوْلُ:

« وَقَدْ كَانَتْ حَيَاةُ رَسُوْلِ اللهِ ρ وَمَرَاحِلُ سِيْرَتِهِ الْمُخْتَلِفَةِ تَسِيْرُ وِفْقَ خُطَطٍ مَدْرُوْسَةٍ، مَبْنِيَّةٍ عَلَى مَعْرِفَةِ الْوَاقِعِ، وَتَوَقُّعِ الْمُسْتَقْبَلِ وَالْمُسَاهَمَةُ فِي تَسْيِيْرِ الأُمُوْرِ حَاضِرَةً وَمُسْتَقْبَلَةً.

([33]) ينظر: لسان العرب، لابن منظور، (287/7)، وتاج العروس، (248/19).

(34) ينظر: لسان العرب، لابن منظور، (288/7)، وتاج العروس، (256/19)، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (244/1).

(35) ينظر: أساسيات الإدارة والتنظيم، لمحمد عبد الله عبد الرحيم، ص 171.

(36) ينظر: أبعاد إدارية واقتصادية واجتماعية وتقنية في السيرة النبوية، د. عبد العزيز بن إبراهيم العُمَري، ص39.

وَمَا سِرِّيَّةُ الْدَّعْوَةِ وَاخْتِفَاءِ الْرَّسُوْلِ ρ فِي دَارِ الأَرْقَمِ، وَأَمْرُهُ أَصْحَابَهُ بِالْهِجْرَةِ إِلَى الْحَبَشَةِ، وَعَرْضُ نَفْسِهِ عَلَى الْقَبَائِلِ، وَ هِجْرَتِهِ إِلَى الْمَدِيْنَةِ، وَكَافَّةِ تَحَرُّكَاتِهِ إِلاَّ وِفْقَ خُطَطٍ مَدْرُوْسَةٍ وَمُحَدَّدَةٍ.

وَكَذَلِكَ الْحَالُ فِي كُلِّ غَزْوَةٍ وَحَادِثَةٍ مِنْ حَوَادِثِ الْسِّيْرَةِ نُلاَحِظُ فِيْهَا الْتَّخْطِيْطَ المُسْبَقَ مِثْلَ غَزْوَةِ بَدْرٍ، وَغَزْوَةِ الأَحْزَابِ، وَغَزْوَةِ خَيْبَرَ، وَفَتْحِ مَكَّةَ وَغَيْرِهَا مِنَ الْوَقَائِعِ وَالْسَّرَايَا المُخْتَلِفَةِ فِي الْسِّيْرَةِ الْنَّبَوِيَّةِ» [37].

وَيَقُوْلُ تَحْتَ عُنْوَانِ: الْتَّنْظِيْمُ وَتَرْتِيْبُ الْمَسْؤُوْلِيَّاتِ:

" كَانَ ρ رَأْسُ الْمُجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ مُنْذُ بِدَايَاتِهِ الأُوْلَى فِي مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةَ، وَحِيْنَ قَامَتْ دَوْلَةُ الإِسْلاَمِ فِي الْمَدِيْنَةِ، كَانَ ρ يُدِيْرُ شُؤُوْنَهَا بِنَفْسِهِ، وَيَرْأَسُ الْدَّوْلَةَ وَمَسْؤُوْلِيَّاتِهَا الْدُّنْيَوِيَّةِ، وَيَسُوْسُ أُمُوْرَهَا الْمُخْتَلِفَةِ وَيُكَلِّفُ غَيْرَهُ مِنَ الْصَّحَابَةِ بِمَسْؤُوْلِيَّاتٍ مُحَدَّدَةٍ وَبِطَرِيْقَةٍ مُنَظَّمَةٍ... ثُمَّ الْتَّنْظِيْمُ وَالاسْتِئْذَانُ مِنَ المَسْؤُوْلِ وَالْشُّعُوْرِ بِتَرْتِيْبِ الأُمُوْرِ، وَعَدَمِ إِفْسَادِ الْنِّظَامِ وَالْتَّخَلِّي عَنِ الْوَاجِبَاتِ وَاحْتِرَامِ الْقِيَادَةِ وَالمَسْؤُوْلِيَّةِ.

وَمِنْ أَكْبَرِ الْشَّوَاهِدِ عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُ ρ حِيْنَمَا بَايَعَهُ الأَنْصَارُ بَيْعَةَ الْعَقَبَةِ الْثَّانِيَةِ طَلَبَ مِنْهُمْ أَنْ يُخْرِجُوْا لَهُ نُقَبَاءَ مِنْ بَيْنِهِمْ يَكُوْنُوْنَ مَسْؤُوْلِيْنَ عَنِ الآخَرِيْنَ، لِتَلَقِّي الأَوَامِرِ وَمُتَابَعَةِ الْتَّنْفِيْذِ كُلٌّ فِيْمَا يَخُصُّهُ، كَمَا أَنَّهُ ρ كَانَ حَرِيْصًا عَلَى الْتَّرْتِيْبِ وَالْتَّنْظِيْمِ بِاسْتِمْرَارٍ، وَكَانَتْ أَوَامِرُهُ فِي هَذَا الْجَانِبِ قَوِيَّةً وَوَاضِحَةً، فِي أُمُوْرِ الْعِبَادَةِ وَالْجِهَادِ، وَمَا يَتْبَعُ ذَلِكَ مِنْ أُمُوْرٍ "[38].

وَقَالَ تَحْتَ عُنْوَانِ: إِدَارَةُ الْمَوَارِدِ الْبَشَرِيَّةِ:

"... اهْتَمَّ الْرَّسُوْلُ ρ بِالْقُوَى الْبَشَرِيَّةِ الْعَامِلَةِ مَعَهُ فِي إِدَارَةِ شُؤُوْنِ الْدَّوْلَةِ وَالْدَّعْوَةِ الإِسْلاَمِيَّةِ، وَيَعْتَبِرُ الاهْتِمَامُ بِالمُسَاعِدِيْنَ وَالْقُوَّةِ الْعَامِلَةِ مِنْ أَهَمِّ الأَوْلَوِيَّاتِ فِي الإِدَارَةِ الْقَدِيْمَةِ وَالْحَدِيْثَةِ، بَلْ وَرُوْحُهَا الَّتِي تَعْتَمِدُ عَلَيْهَا[39].

وَلَعَلَّ عَمَلِيَّةِ الإِحْصَاءِ الَّتِي أَمَرَ بِهَا رَسُوْلُ اللهِ ρ لِسُكَّانِ المَدِيْنَةِ المُنَوَّرَةِ بَعْدَ فَتْرَةٍ مِنَ الْهِجْرَةِ مِنْ أَكْبَرِ الأَدِلَّةِ عَلَى الاهْتِمَامِ بِمَعْرِفَةِ الْقُوَى الْبَشَرِيَّةِ وَتَقْدِيْرَاتِهَا، فَقَدْ وَرَدَ أَنَّ الْرَّسُوْلَ ρ أَمَرَ بِإِحْصَاءِ الْمُسْلِمِيْنَ فِي قَوْلِهِ اكْتُبُوْا لِي مَنْ تَلَفَّظَ بِالإِسْلاَمِ مِنَ الْنَّاسِ، يَقُوْلُ حُذَيْفَةُ بْنِ الْيَمَانِ فَكَتَبْنَا لَهُ أَلْفًا وَخَمْسَمِائَةِ رَجُلٍ[40]، وَإِنْ كَانَ الأَمْرُ لاَ يَخُصُّ الإِدَارَةَ مُبَاشَرَةً، لَكِنَّهُ يُعْطِي مَفْهُوْمًا خَاصًّا حَوْلَ الاهْتِمَامِ بِالْطَّاقَاتِ الْبَشَرِيَّةِ وَدِرَاسَتِهَا "[41].

وَتَحْتَ عُنْوَانِ: إِدَارَةِ الأَزَمَاتِ، يَقُوْلُ:

" مِنَ الْمُصْطَلَحَاتِ الإِدَارِيَّةِ الْحَدِيْثَةِ الَّتِي خَرَجَتْ فِيْهَا دِرَاسَاتٍ عَدِيْدَةٍ وَقُدِّمَتْ لَهَا دَوْرَاتٍ وَنُفِّذَتْ فِيْهَا قَرَارَاتٌ إِدَارِيَّةٌ مُخْتَلِفَةٌ.

وَقَدْ تَعَرَّضَ رَسُوْلُ اللهِρ لِلْعَدِيْدِ مِنَ الأَزَمَاتِ وَالْظُّرُوْفِ المُخْتَلِفَةِ وَالْطَّارِئَةُ الَّتِي اسْتَدْعَتْ مِنْهُ تَصَرُّفَاتٍ خَاصَّةٍ وَجُهُوْدٍ مُمَيَّزَةٍ عَاجِلَةٍ لِمُوَاجَهَةِ تِلْكَ الأَحْدَاثِ، وَلَعَلَّ مِنْ أَهَمِّ الْغَزَوَاتِ المُفَاجِئَةِ لِلْمُشْرِكِيْنَ لِبَلَدِ الْرَّسُوْلِ ρ مِثْلَمَا حَدَثَ فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ، وَمِنْ أَصْعَبِ الأَزَمَاتِ الَّتِي وَاجَهَهَا الْرَّسُوْلُ ρ غَزْوَةَ الأَحْزَابِ الَّتِي وَصَفَهَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْعَزِيْزِ: چ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ چ[42].

وَقَدْ تَصَرَّفَ الْرَّسُوْلُ ρ بِحِكْمَةٍ وَحَشَدَ كُلَّ الْطَّاقَاتِ الْمَادِّيَّةِ وَالْبَشَرِيَّةِ، وَاسْتَخْدَمَ الْخِبْرَاتِ وَالْطَّاقَاتِ الْمُتَوَفِّرَةِ فِي تَنْفِيْذِ خُطَّةٍ عَاجِلَةٍ لِمُوَاجَهَةِ تِلْكَ الأَزْمَةِ الْطَّارِئَةِ وَنَجَحَ ρ بِعَوْنِ اللهِ تَعَالَى فِي اتِّخَاذِ كَافَّةِ الأَسْبَابِ لِتَجَاوُزِ الأَزْمَةِ، بَلْ وَمُعَاقَبَةِ الْخَائِنِيْنَ مِنْ يَهُوْدِ الْمَدِيْنَةِ، وَتَطْهِيْرِ الْصَّفِّ وَبَلَدِ الْرَّسُوْلِ ρ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ لِيَكُوْنَ الْتَّغَلُّبُ عَلَى الأَزْمَةِ أَوَّلاً، وَمِنْ ثَمَّ الْتَّغَلُّبُ عَلَى مُسَبِّبَاتِهَا بِمُعَالَجَةِ الْخَطَرِ الْدَّاخِلِيِّ فِي الْمَدِيْنَةِ وَالْقَضَاءِ عَلَى مَصْدَرِ الْخَطَرِ.

كَمَا أَنَّ الْرَّسُوْلَ ρ تَعَرَّضَ فِي أَكْثَرِ مِنْ مَرَّةٍ لِأَزَمَاتٍ مَالِيَّةٍ وَخُصُوْصًا عِنْدَ الْغَزَوَاتِ كَمَا حَدَثَ فِي غَزْوَةِ تَبُوْكَ، فَقَامَ ρ بِاسْتِنْفَارِ الْنَّاسِ لِلْصَّدَقَةِ، وَشَجَّعَ عَلَيْهَا حَتَّى تَمَكَّنَ ρ مِنَ الْتَّغَلُّبِ عَلَى جُزْءٍ كَبِيْرٍ مِنْ تِلْكَ الْمُشْكِلَةِ.

كَمَا وَاجَهَ الْرَّسُوْلُ ρ أَخْطَارًا أَمْنِيَّةً مُخْتَلِفَةً فِي الْمَدِيْنَةِ عَالَجَهَا وَتَمَكَّنَ مِنَ الْتَّغَلُّبِ عَلَيْهَا وَمُعَاقَبَةَ الْجُنَاةِ، وَوَاجَهَ الْرَّسُوْلُ ρ فِي أَوَاخِرِ حَيَاتِهِ أَزْمَةَ الْمُرْتَدِّيْنَ أَتْبَاعِ الأَسْوَدِ الْعَنْسِيِّ فِي الْيَمَنِ فَأَدَارَ وُلاَتَهُ مِنَ الْمَدِيْنَةِ حَتَّى تَغَلَّبُوْا عَلَى هَذِهِ الأَزْمَةِ كَمَا أَدَارَ الإِعْدَادَ لِلْقَضَاءِ عَلَى مُسَيْلَمَةَ الْكَذَّابِ الَّذِي ظَهَرَ فِي الْيَمَامَةِ "[43].

إِن لِلْتَّخْطِيْطِ فِي عَمَلِيَّةِ الْدَّعْوَةِ أَهَمِّيَّةٍ كُبْرَى، وَتَوْجِيْهِ الْدُّعَاةِ لِلأَخْذِ بِهِ، وَتَفْعِيْلِهِ فِي حَيَاتِهِمْ وَوَاقِعِهِمْ وَدَعْوَتِهِمْ:

(إِنَّ مَنْ تَأَمَّلَ حَادِثَةَ الْهِجْرَةِ، وَرَأَى دِقَّةَ الْتَّخْطِيْطِ فِيْهَا، وَدِقَّةَ الأَخْذِ بِالأَسْبَابِ مِنْ ابْتِدَائِهَا إِلَى انْتِهَائِهَا، وَمِنْ مُقَدِّمَاتِهَا إِلَى مَا جَرَى بَعْدَهَا، يُدْرِكُ أَنَّ الْتَّخْطِيْطَ الْمُسَدَّدَ بِالْوَحْيِ فِي حَيَاةِ رَسُوْلِ اللهِ ρ كَانَ قَائِمًا، وَأَنَّ الْتَّخْطِيْطَ جُزْءٌ مِنَ الْسُّنَّةِ

---

(37) ينظر: أبعاد إدارية واقتصادية واجتماعية وتقنية في السيرة النبوية، عبد العزيز العمري، ص39.

(38) المرجع السابق، ص 40.

(39) ينظر: الإدارة المعاصرة، ديفد رتشمان، ترجمة. د. محمد الرفاعي، ومحمد سيد عبد المتعال، دار المريخ، الرياض، ص 247.

(40) رواه البخاري 6 / 125 في الجهاد، باب كتابة الإمام الناس، ومسلم رقم (149) في الإيمان، باب الاستسرار بالإيمان للخائف.

(41) ينظر: الإدارة المعاصرة، ديفد رتشمان، ترجمة. د. محمد الرفاعي، ومحمد سيد عبد المتعال المرجع السابق، 45- 46.

(42) سورة الأحزاب، الآية 10.

(43) المرجع السابق، ص 76- 77.

الْنَّبَوِيَّةِ، وَهُوَ جُزْءٌ مِنَ الْتَّكْلِيْفِ الإِلَهِيّ فِي كُلّ مَا طُوْلِبَ بِهِ الْمُسْلِمُ، وَأَنَّ الَّذِيْنَ يَمِيْلُوْنَ إِلَى الْعَفْوِيَّةِ بِحُجَّةِ أَنَّ الْتَّخْطِيْطَ وَإِحْكَامَ الأُمُوْرِ لَيْسَا مِنَ الْسُّنَّةِ، أَمْثَالَ هُؤَلاَءِ مُخْطِئُوْنَ، وَيَجْنُوْنَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَعَلَى الْمُسْلِمِيْنَ) [44].

لَقَدْ كَانَ الْتَّخْطِيْطُ الْنَّبَوِيُّ مُحْكَمًا قَبْلَ الْشُرُوْعِ فِي الْهِجْرَةِ، عَلَى مُسْتَوَىً عَالٍ مِنَ الْجَاهِزِيَّةِ وَالْتَّدْبِيْرِ، فَمَا أَحْوَجَ الأُمَّةَ الإِسْلاَمِيَّةَ أَنْ تَقْتَفِي أَثَرَ نَبِيِّهَا! وَتَسْتَلْهِمَ الْدُّرَرَ اللاَّمِعَةَ مِنْ عَبْقَرِيَّتِهِ الْفَذَّةِ وَتَخْطِيْطِهِ الْحَكِيْمِ، الَّذِي رَسَمَ مَعَالِمَ الْهِجْرَةِ الْنَّاجِحَةِ مِنْ خِلاَلِ إِعْدَادٍ لِلْعُدَّةِ، وَأَخْذٍ بِمَبْدَأِ الْحِيْطَةِ الْلاَّزِمَةِ فِي اخْتِيَارِهِ الْوَقْتَ الْمُنَاسِبَ لِلْخُرُوْجِ، وَاتِّخَاذِ الْطُرُقِ وَالْمَسَالِكِ الْغَيْرِ مَأْلُوْفَةٍ لِلْقَوْمِ؛ وَتِلْكَ هِيَ الْحِكْمَةُ الْبَالِغَةُ، كَمَا تَفْرِضُهَا الْضَّرُوْرَاتُ الْمُعْتَادَةُ عَلَى أَيِّ إِنْسَانٍ.

وَلِهَذَا يُؤَكِّدُ الْدُّكْتُوْر: عَلي الْصَّلاَّبِي ذَلِكَ قَائِلاً: " وَنَرَى احْتِيَاجَاتِ الْرِّحْلَةِ قَدْ دُبِّرَتْ تَدْبِيْرًا مُحْكَمًا:

أ- عَلِيٌّ τ: يَنَامُ فِي فِرَاشِ الْرَّسُوْلِ ρ؛ لِيَخْدَعَ الْقَوْمَ، وَيُسَلِّمُ الْوَدَائِعَ، وَيَلْحَقَ بِالْرَّسُوْلِ ρ .

ب- وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ τ: صَاحِبُ الْمُخَابَرَاتِ الْصَّادِقِ، وَكَاشِفُ تَحَرُّكَاتِ الْعَدُوِّ.

جـ- وَأَسْمَاءُ ذَاتِ الْنِّطَاقَيْنِ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: تَحْمِلُ الْتَّمْوِيْنَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْغَارِ، وَسَطَ جُنُوْنِ الْمُشْرِكِيْنَ بَحْثًا عَنْ مُحَمَّدٍ ρ لِيَقْتُلُوْهُ.

د- وَعَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ τ: الْرَّاعِي الْبَسِيْطُ الَّذِي قَدَّمَ الْلَّحْمَ وَالْلَّبَنَ إِلَى صَاحِبَيِ الْغَارِ، وَبَدَّدَ آثَارَ أَقْدَامِ الْمَسِيْرَةِ الْتَّارِيْخِيَّةِ بِأَغْنَامِهِ؛ كَي لاَ يَتَفَرَّسَهَا الْقَوْمُ، لَقَدْ كَانَ هَذَا الْرَّاعِي يَقُوْمُ بِدَوْرِ الإِمْدَادِ وَالْتَّمْوِيْنِ.

هـ- وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أُرَيْقِطٍ τ: دَلِيْلُ الْهِجْرَةِ الأَمِيْنِ، وَخَبِيْرُ الْصَّحْرَاءِ الْبَصِيْرِ، يَنْتَظِرُ فِي يَقَظَةٍ إِشَارَةَ الْبَدْءِ مِنَ الْرَّسُوْلِ ρ؛ لِيَأْخُذَ الْرَّكْبُ طَرِيْقَهُ مِنَ الْغَارِ إِلَى يَثْرِبَ.

... فَهَذَا تَدْبِيْرٌ لِلأُمُوْرِ عَلَى نَحْوٍ رَائِعٍ دَقِيْقٍ، وَاحْتِيَاطٌ لِلْظُرُوْفِ بِأُسْلُوْبٍ حَكِيْمٍ، وَوَضْعٌ لِكُلّ شَخْصٍ مِنْ أَشْخَاصِ الْهِجْرَةِ فِي مَكَانِهِ الْمُنَاسِبِ، وَسَدٌّ لِجَمِيْعِ الْثَّغَرَاتِ، وَتَغْطِيَةٌ بَدِيْعَةٌ لِكُلّ مَطَالِبِ الْرِّحْلَةِ، وَاقْتِصَارٌ عَلَى الْعَدَدِ الْلاَّزِمِ مِنَ الأَشْخَاصِ مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ وَلاَ إِسْرَافٍ"[45].

إِيْجَابِيَّاتُ الْتَّخْطِيْطِ:

يُمْكِنُ أَنْ نُبْرِزَ أَهَمَّ مَا يُمْكِنُ أَنْ يُسْهِمَ بِهِ الْتَّخْطِيْطُ لِلْنُّهُوْضِ بِالأَعْمَالِ الْدَّعَوِيَّةِ وَالارْتِقَاءِ بِهَا حَتَّى تُحَقِّقَ أَهْدَافَهَا بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى ثُمَّ بِجُهُوْدِ الْدُّعَاةِ الْصَّادِقِيْنَ الْمُخْلِصِيْنَ، وَأَبْرَزُ هَذِهِ الإِيْجَابِيَّاتِ هِيَ:

1 ـ أَنَّ الْتَّخْطِيْطَ الْدَّعَوِيّ يُحَدِّدُ أَهْدَافَ الْدُّعَاةِ وَغَايَاتِ الْبَرَامِجِ وَالْمَشْرُوْعَاتِ الْدَّعَوِيَّةِ، كَمَا يُفِيْدُ فِي حُسْنِ الأَدَاءِ أَثْنَاءَ الْتَّنْفِيْذِ وَالْتَّقْوِيْمِ الْدَّقِيْقِ بَعْدَ ذَلِكَ، وَلاَ زَالَ هَذَا الأَمْرُ - وَهُوَ وُضُوْحُ الْهَدَفِ - غَائِبًا عَنْ كَثِيْرٍ مِنَ الْعَامِلِيْنَ فِي الْدَّعْوَةِ؛ فَهُوَ لاَ شَكَّ يُدْرِكُ الْهَدَفَ الْعَامَّ - وَهُوَ تَبْلِيْغُ دِيْنِ اللهِ - وَلَكِنَّهُ قَدْ يَجْهَلُ الأَهْدَافَ الْخَاصَّةَ لِكُلّ بَرْنَامَجٍ مِمَّا يُوْجِدُ فِي كَثِيْرٍ مِنَ الأَحْيَانِ سِلْبِيَّاتٍ كَثِيْرَةٍ عَلَى هَذِهِ الْبَرَامِجِ.

2 - يُسَاعِدُ الْتَّخْطِيْطُ فِي اخْتِيَارِ طُرُقِ الْدَّعْوَةِ الْمُنَاسِبَةِ وَالْمُلاَئِمَةِ لِكُلّ دَاعِيَةٍ بِحَسَبِ قُدُرَاتِهِ وَإِمْكَانَاتِهِ وَالْمُتَوَافِقَةِ مَعَ طَبِيْعَةِ الْبَرْنَامَجِ وَالأَهْدَافِ الْمَرْسُوْمَةِ لَهُ؛ وَفِي تَحْدِيْدِ الْرَّأْيِ الأَقْرَبِ لِلْتَّقْوَى لِكُلّ بَرْنَامَجٍ؛ فَأَحْيَانًا قَدْ يَخْتَارُ الْدَّاعِيَةُ أَسَالِيْبَ لِلْدَّعْوَةِ لاَ تُؤَدِّي إِلَى نَجَاحِ الْبَرْنَامَجِ: إِمَّا لِعَدَمِ مُنَاسَبَتِهَا لأَهْدَافِ الْبَرْنَامَجِ، أَوْ لِطَبِيْعَةِ الْبَرْنَامَجِ وَأَهْدَافِهِ، أَوْ لِعَدَمِ مُنَاسَبَتِهَا لإِمْكَانَاتِ مَنْ يَتَوَلَّى تَنْفِيْذَ الْبَرْنَامَجِ وَقُدُرَاتِهِ الْدَّعَوِيَّةِ، أَوْ أَنَّهَا غَيْرُ مُلاَئِمَةٍ لِبِيْئَةِ الْدَّعْوَةِ أَوْ نَوْعِ الْمَدْعُوِّيْنَ وَطَبِيْعَتِهِمْ، وَقَدْ (يَجْتَهِدُ) الْدَّاعِيَةُ أَحْيَانًا فِي اخْتِيَارِ وَسِيْلَةٍ غَيْرِ مُنْضَبِطَةٍ بِضَوَابِطِهَا الْشَّرْعِيَّةِ.

3 - يَجْعَلُ مِنَ الْسَّهْلِ الْتَّوَقُّعَ لِمُعَوِّقَاتِ الْبَرْنَامَجِ الْدَّعَوِيّ الَّتِي قَدْ يُفَاجَأُ بِهَا الْدَّاعِيَةُ أَثْنَاءَ أَوْ قَبْلَ تَنْفِيْذِ الْبَرْنَامَجِ، وَيَتِمّ هَذَا بِالاسْتِفَادَةِ مِنَ الْمَعْلُوْمَاتِ وَالْبَيَانَاتِ الَّتِي يَجْمَعُهَا وَاضِعُ الْخُطَّةِ الْدَّعَوِيَّةِ مِمَّا يَجْعَلُهُ - بِإِذْنِ اللهِ - أَكْثَرَ أَمَانًا وَأَقَلَّ عُرْضَةً لِلْمُفَاجَآتِ الَّتِي قَدْ تُذْهِبُ جُهُوْدَهُ أَوْ تُضْعِفُ ثِمَارَهَا إِضَافَةً إِلَى أَنَّهُ يُعَالِجُ الْخَطَأَ فِي الْوَقْتِ الْمُنَاسِبِ وَقَبْلَ أَنْ يَتَرَاكَمَ فَيَمْنَعُ الْرُّؤْيَةَ وَتَصْعُبُ مُعَالَجَتُهُ.

4 - يُسْهِمُ الْتَّخْطِيْطُ فِي تَرْتِيْبِ الأَوْلَوِيَّاتِ لَدَى الْعَامِلِيْنَ وَالْقَائِمِيْنَ عَلَى الْبَرْنَامَجِ الْدَّعَوِيّ مِمَّا يُسَاعِدُ فِي اخْتِيَارِ الأَهَمِّ مِنْهَا عِنْدَ حُدُوْثِ تَضَارُبٍ أَوْ تَدَاخُلٍ، أَوْ عِنْدَ الْحَاجَةِ لِتَقْدِيْمِ بَرْنَامَجٍ عَلَى الآخَرِ، أَوْ إِلْغَاءِ أَحَدِهِمَا، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ.

5 ـ يُحْدِثُ الْتَّخْطِيْطُ كَثِيْرًا مِنَ الانْسِجَامِ وَالْتَّنَاسُقِ بَيْنَ أَعْمَالِ الْدَّاعِيَةِ، مِمَّا يَمْنَعُ الازْدِوَاجِيَّةَ وَالْتَّضَارُبَ فِي أَعْمَالِهِ وَبَرَامِجِهِ؛ فَلاَ تَضِيْعَ بِفِعْلِ ذَلِكَ كَثِيْرٌ مِنَ الْجُهُوْدِ وَالأَوْقَاتِ الَّتِي يُمْكِنُ اسْتِغْلاَلَهَا لِتَنْفِيْذِ بَرَامِجَ أُخْرَى.

6 ـ يَعْمَلُ الْتَّخْطِيْطُ عَلَى تَوْفِيْرِ كَثِيْرٍ مِنَ الْنَّفَقَاتِ الْمَالِيَّةِ وَالْجُهُوْدِ الْبَشَرِيَّةِ الَّتِي تُوْضَعُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا بِسَبَبِ ضَعْفِ الْتَّخْطِيْطِ أَوْ انْعِدَامِهِ مِمَّا يُسَاعِدُ عَلَى اسْتِثْمَارِ هَذِهِ الْجُهُوْدِ وَالْنَّفَقَاتِ لإِقَامَةِ بَرَامِجَ دَعَوِيَّةٍ أُخْرَى.

وَلاَ شَكَّ أَنَّ عَدَمَ وُجُوْدِ تَصَوُّرٍ وَاضِحٍ لِلْمِيْزَانِيَّاتِ الْمُتَوَقَّعَةِ لِتَنْفِيْذِ الْبَرْنَامَجِ هُوَ مِنْ آثَارِ ضَعْفِ الْتَّخْطِيْطِ.

7 ـ يُفِيْدُ الْتَّخْطِيْطُ فِي تَحْدِيْدِ مَوَاعِيْدَ زَمَنِيَّةٍ تَضْبِطُ بَدْءَ الأَنْشِطَةِ وَانْتِهَاءَهَا؛ وَهَذَا يَجْعَلُ الْدَّاعِيَةَ قَادِرًا عَلَى تَقْوِيْمِ أَعْمَالِهِ وَمَدَى الْتِزَامِهِ بِالْمُدَّةِ الْزَّمَنِيَّةِ الْمُحَدَّدَةِ لِتَنْفِيْذِهَا، وَكَذَلِكَ فِي حُسْنِ الْتَّوْقِيْتِ لإِقَامَةِ الْبَرَامِجَ وَمَنْعِ الْتَّضَارُبِ مَعَ أَنْشِطَةٍ أُخْرَى.

---

(44) ينظر: الأساس في السُّنَّة وفقهها، القسم الأول السِّيرة النبوية، سعيد حوى، (357/1).

[45]() ينظر السيرة النبوية، عرض وقائع وتحليل أحداث؛ للصلابي (426/1). .

8 – يُفِيْدُ الْتَّخْطِيْطُ فِي الْتَّجْدِيْدِ فِي الأَسَالِيْبِ وَالْوَسَائِلِ الْدَّعَوِيَّةِ وَفِي الْبُعْدِ عَنِ الْرَّتَابَةِ وَالْتَّمَسُّكِ بِالأَسَالِيْبِ الْتَّقْلِيْدِيَّةِ؛ مَعَ الْتَّمَسُّكِ بِثَوَابِتِ المَنْهَجِ الصَّحِيْحِ فِي الْدَّعْوَةِ.

9 – يُفِيْدُ الْتَّخْطِيْطُ فِي الْتَّنْسِيْقِ بَيْنَ الْعَامِلِيْنَ أَو الْجِهَاتِ الْدَّعَوِيَّةِ فِي الْسَّاحَةِ الْدَّعَوِيَّةِ بِأَشْكَالٍ مُخْتَلِفَةٍ سَوَاءٌ فِي الْتَّنْسِيْقِ فِي تَوْزِيْعِ المَوَاقِعَ الْجُغْرَافِيَّةِ، أَوِ الْتَّخَصُّصِ فِي الْبَرَامِجِ الْدَّعَوِيَّةِ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ. كَمَا يُفِيْدُ فِي مَنْعِ الْتَّكْرَارِ فِي الْبَرَامِجِ وَيَحُوْلُ دُوْنَ إِضَاعَةِ الْجُهُوْدِ أَوْ إِغْفَالِ بَرَامِجَ أُخْرَى قَدْ تَكُوْنُ الْحَاجَةُ إِلَيْهَا أَكْثَرُ.

10 – يُفِيْدُ الْتَّخْطِيْطُ فِي تَقْوِيْمِ الْوَاقِعِ الْدَّعَوِيّ فِي المَوَاقِعِ الْمُخْتَلِفَةِ الَّتِي تُنَفَّذُ فِيْهَا الْخُطَطِ الْدَّعَوِيَّةِ، وَفِي تَحْدِيْدِ مَوَاطِنَ الضَّعْفِ فِي الْخُطَّةِ أَوْ فِي أُسْلُوْبِ الْتَّنْفِيْذِ لِيَتِمّ تَلاَفِيْهَا فِي الْخُطَطِ الْقَادِمَةِ؛ وَ هَذَا مِمَّا يُؤَكِّدُ أَهَمِّيَّةَ الْتَّخْطِيْطِ فِي أَنَّهُ يُسَاعِدُ فِي عَدَمِ تِكْرَارِ الأَخْطَاءِ الَّتِي تُرْتَكَبُ، وَفِي عَمَلِ مُرَاجَعَاتٍ شَامِلَةٍ فِي نِهَايَةِ كُلِّ خُطَّةٍ دَعَوِيَّةٍ لِيَتِمَّ تَقْوِيْمَ الْنَّتَائِجَ وَالْنِّسَبِ المُتَحَقِّقَةِ مِنْ أَهْدَافِهَا وَأَبْرَزُ سَلْبِيَّاتِهَا وَإِيْجَابِيَّاتِهَا.

11- يَجْعَلُ مِنَ الْسَّهْلِ عَلَى الْدَّاعِيَةِ أَنْ يَحْصُرَ حَاجَاتِهِ مِنَ الْبَرَامِجِ وَالأَنْشِطَةِ وَالْخُطُطِ الْلاَّزِمَةِ لِتَوْجِيْهِ مَسَارِ الْدَّعْوَةِ بِالْشَّكْلِ الْصَّحِيْحِ.

12- يُسْهِمُ فِي مَعْرِفَةِ مَوَاضِعِ الْضَّعْفِ فِي الْقُوَى الْبَشَرِيَّةِ وَمِنْ ثَمَّ فِي تَحْدِيْدِ الْبَرَامِجِ الْتَّدْرِيْبِيَّةِ اللاَّزِمَةِ للارْتِقَاءِ بِالْكِفَايَاتِ الْدَّعَوِيَّةِ مِنْ كَافَّةِ الْجَوَانِبِ الْعِلْمِيَّةِ وَالإِدَارِيَّةِ وَالْقِيَادِيَّةِ.

13- يُسَاعِدُ الْتَّخْطِيْطُ الْقَائِمِيْنَ عَلَى الأَعْمَالِ الْدَّعَوِيَّةِ فِي وَضْعِ مَعَايِيْرَ وَأُسُسَ لِمُتَابَعَةِ أَدَاءِ الْدُّعَاةِ وَالْعَامِلِيْنَ فِي الْبَرَامِجِ، وَمَدَى تَحَقِيْقِهِمْ لِأَهْدَافِ الْبَرْنَامَجِ.

14 – يُفِيْدُ الْتَّخْطِيْطُ فِي تَحْدِيْدِ مَهَامّ الْعَامِلِيْنَ فِي الْبَرْنَامَجِ الْدَّعَوِيّ أَوْ الْخُطَّةِ الْدَّعَوِيَّةِ عُمُوْمًا، وَطَرِيْقَةُ أَدَائِهِمْ؛ مِمَّا يُسَاعِدُ عَلَى إِدَارَتِهِمْ وَتَوْجِيْهِهِمْ بِالْطَّرِيْقَةِ الْمُنَاسِبَةِ لِتَحْقِيْقِ الأَهْدَافِ المَطْلُوْبَةِ.

15 – يَزِيْدُ الْتَّخْطِيْطُ مِنْ فَاعِلِيَّةِ وَإِنْتَاجِيَّةِ الْمُدِيْرِيْنَ لِلْبَرَامِجِ أَوِ الْخُطَطِ الْدَّعَوِيَّةِ؛ فَمَا دَامَ أَنَّ الْتَّخْطِيْطَ يُسَاعِدُ فِي وَضْعِ الأَهْدَافِ بِشَكْلٍ وَاضِحٍ وَمُحَدَّدٍ فَإِنَّهُ كَذَلِكَ يُسَاعِدُ الْقَائِمِيْنَ عَلَيْهِ فِي اتِّخَاذِ الْقَرَارَاتِ الْمُنَاسِبَةِ الَّتِي تَحْكُمُهَا الأَهْدَافِ الْمَوْضُوْعَةِ لِلْخُطَّةِ الْدَّعَوِيَّةِ.

16- يُسَاعِدُ الْتَّخْطِيْطُ فِي اسْتِغْلاَلِ الْفُرَصِ الْدَّعَوِيَّةِ حَيْثُ يُفِيْدُ فِي الإِعْدَادِ الْمُبَكِّرِ وَحُسْنِ الْتَّوْقِيْتِ لِلْبَرَامِجِ وَجَمْعِ الْمَعْلُوْمَاتِ الْخَاصَّةِ بِالْبَرَامِجِ وَخُصُوْصًا مَوَاعِيْدِ إِقَامَتِهَا، وَتَحْدِيْدِ ذَلِكَ مُسْبَقًا وَالإِعْدَادِ الْجَيِّدِ لَهُ.

17- يُفِيْدُ الْتَّخْطِيْطُ فِي جَعْلِ الْبَرَامِجِ وَالْخُطَطِ أَكْثَرَ شُمُوْلِيَّةً وَتَكَامُلاً؛ وَيُلاَحَظُ أَثَرَ ذَلِكَ فِي جُهُوْدِ بَعْضِ الْدُّعَاةِ أَوْ الْجِهَاتِ الْدَّعَوِيَّةِ حَيْثُ تَرَكَّزَ عَلَى شَرَائِحَ مُعَيَّنَةٍ مِنَ الْمُجْتَمَعِ أَوْ عَلَى مَوْضُوْعَاتٍ وَجَوَانِبَ مُعَيَّنَةٍ فِي بَرَامِجِهَا، وَتُهْمِلَ غَيْرَهَا؛ بَيْنَمَا الْتَّخْطِيْطُ يَجْعَلُ لِلْعَمَلِ الْدَّعَوِيّ وَالْجُهُوْدُ الْدَّعَوِيَّةِ سِمَةُ الْشُّمُوْلِيَّةِ فِي طُرُوْحَاتِهَا وَبَرَامِجِهَا.

18- يُسَاعِدُ الْتَّخْطِيْطُ عَلَى اسْتِمْرَارِ الْجُهُوْدِ الْدَّعَوِيَّةِ - بِإِذْنِ اللهِ - فَكَثِيْرًا مَا تَتَوَقَّفُ الأَنْشِطَةُ وَتَتَعَطَّلُ الْبَرَامِجُ بِسَبَبِ حُدُوْثِ الْمُفَاجَآتِ كَانْقِطَاعِ الْدَّعْمِ، أَوْ سُوْءِ الْتَّنْفِيْذِ، أَوْ سُوْءِ الْتَّوْقِيْتِ، وَلِعَدَمِ وَضْعِ بَدَائِلَ لِهَذِهِ الْحَالاَتِ الْطَّارِئَةِ.

وَلِكَي يَتَحَقَّقَ هَذَا الأَمْرُ الْمُهِمّ فِي حَيَاةِ الْدُّعَاةِ، وَيَأْخُذَ الْتَّخْطِيْطُ أَهَمِّيَّةً قُصْوَى فِي وَاقِعِهِمْ، فَإِنَّهُ يَلْزَمُ الْدُّعَاةُ إِلَى اللهِ مَا يَلِي:

- أَهَمِّيَّةُ رَسْمِ الأَهْدَافِ وَوُضُوْحِ الْمَنْهَجِيَّةِ، وَالْتَّخْطِيْطِ الاسْتِرَاتِيْجِي، مَعَ تَقْيِيْمِ الأَدَاءِ، وَدِرَاسَةِ الْمُعْطَيَاتِ وَالْمُخْرَجَاتِ وَأَنْ تَكُوْنَ حَرَكَةُ الْدَّعْوَةِ وِفْقَ أَهْدَافٍ مَعْلُوْمَةٍ، وَحَرَكَةٍ مَدْرُوْسَةٍ، وَتَقْيِيْمٍ دَائِمٍ يُعِيْنُ عَلَى الْتَّصْحِيْحِ وَالْتَّحْسِيْنِ وَالْدَّفْعِ إِلَى الْتَّطْوِيْرِ.
- وُجُوْبُ الْشَّرَاكَةِ الْمُجْتَمَعِيَّةِ وَالْمُؤَسَّسَاتِيَّةِ لِكَافَّةِ أَعْمَالِ الْدَّعْوَةِ وَأَحْوَالِ الْدُّعَاةِ، وَعَدَمُ الاقْتِصَارِ عَلَى الْفَرْدِيَّةِ مَعَ أَهَمِّيَّتِهَا، وَإِلْزَامُ كَثِيْرٍ مِنَ الْمَعَاهِدِ الْدَّعَوِيَّةِ الْدُّعَاةَ بِقِرَاءَةِ الْسِّيْرَةِ، وَخَاصَّةً الْمُؤَلَّفَاتِ الْمُرْتَبِطَةِ بِالْتَّحْلِيْلاَتِ الْمُعَاصِرَةِ.
- الْبُعْدُ عَنِ الْعَشْوَائِيَّةِ الْدَّعَوِيَّةِ، وَالْتَّخْطِيْطُ الْجَيِّدِ لِلْعَمَلِ الْدَّعَوِيّ بِكَافَّةِ أَطْيَافِهِ وَفَتَرَاتِهِ، حَتَّى يُصْبِحَ مَفْهُوْمُ الْتَّخْطِيْطِ لِلْدَّعْوَةِ مَفْهُوْمًا مَأْلُوْفًا، وَمَنْهَجًا مُعْتَبَرًا عِنْدَ كَثِيْرٍ مِنَ الْدُّعَاةِ.
- إِضَافَةُ مَادَّةِ الْتَّخْطِيْطِ الْدَّعَوِيّ، وَمَعَايِيْرُ إِعْدَادِ الْدُّعَاةِ إِلَى مُقَرَّرَاتِ الْكُلِّيَّاتِ وَالْمَعَاهِدِ الْشَّرْعِيَّةِ كَمُتَطَلَّبَاتٍ أَسَاسِيَّةٍ.

الْمَطْلَبُ الخَامِسُ: الْمَنْهَجُ الدَّعَوِيّ الْتَّخَصُّصِيّ:

لاَ شَكَّ أَنَّ عَدَمَ الْتَّمْيِيْز بَيْنَ الْشُّمُوْلِيَّةِ فِي الْتَّصَوُّرِ وَبَيْنَ الْتَّخَصُّصِ فِي الْدَّعْوَةِ هُوَ أَحَدُ أَسْبَابِ ضَعْفِ الأَدَاءِ وَقِلَّةِ الإِتْقَانِ، وَمِنْ ثَمَّ ضَعْفُ الْتَّرَاكُمِ فِي تَحْصِيْلِ الْمُكْتَسَبَاتِ وَالإِحْبَاطِ أَوْ الْيَأْسِ مِنَ الإِصْلاَحِ الَّذِي قَدْ يَسْقُطُ فِيْهِ الْبَعْضُ.

وَلِثَقَافَةِ الْتَّخَصُّصِ عَلاَقَةٌ وَثِيْقَةٌ بِثَقَافَةِ الإِنْجَازِ، الَّتِي تَحْتَاجُهَا الأُمَّةُ الْيَوْمَ أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ وَقْتٍ مَضَى، وَذَلِكَ أَنَّ عَدَمَ الْتَّمْيِيْز بَيْنَ مَجَالِ الاهْتِمَامِ وَمَجَالِ الْتَّأْثِيْرِ، وَعَدَمِ مُرَاعَاةِ الْسُّنَنِ الاجْتِمَاعِيَّةِ مِنَ الْعَوَائِقِ الْثَّقَافِيَّةِ الَّتِي تُقَلِّلُ مِنْ ضَعْفِ فَاعِلِيَّتِنَا الْحَضَارِيَّةِ، إِضَافَةً إِلَى عَائِقٍ ثَقَافِيٍّ آخَرَ يَتَجَلَّى فِي وَهْمِ الْشُّمُوْلِيَّةِ، وَضَعْفِ ثَقَافَةِ الْتَّخَصُّصِ.

وَفِي مَرْجِعِيَّتِنَا الإِسْلاَمِيَّةِ مِنَ الْمَبَادِئِ وَالأَحْكَامِ وَالْتَّوْجِيْهَاتِ مَا يَشْهَدُ لِهَذَا الْتَّوَجُّهِ؛ فَالْقُرْآنُ الْكَرِيْمُ يَدْعُوْ الأُمَّةَ إِلَى الْنَّفِيْرِ الْعَامِّ حِيْنَ يَكُوْنَ الْمُجْتَمَعُ مُهَدَّدًا فِي وُجُوْدِهِ، وَلَكِنَّهُ فِي نَفْسِ الْوَقْتِ يَدْعُوْ إِلَى نَفِيْرٍ مِنْ نَوْعٍ خَاصٍّ؛ أَيْ: أَنْ تَقُوْمَ فِي الأُمَّةِ فِئَاتٌ خَاصَّةٌ لِلاصْطِلاَعِ بِمَهَامٍّ خَاصَّةٍ، وَهُوَ مَا بَلْوَرَهُ الْفِقْهُ الإِسْلاَمِيّ حِيْنَ مَيَّزَ بَيْنَ الْفُرُوْضِ الْكِفَائِيَّةِ وَالْفُرُوْضِ الْعَيْنِيَّةِ، فَالْفُرُوْضِ الْكِفَائِيَّةِ تَعْنِي فُرُوْضًا تَبْقَى فِي ذِمَّةِ الأُمَّةِ مَا لَمْ تَنْفِرْ طَائِفَةٌ مِنْهَا لِلاعْتِكَافِ عَلَيْهَا، وَتَحْقِيْقِ الْكِفَايَةِ فِيْهَا كَمًّا وَكَيْفًا، فَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: چ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ چ[46].

إِشَارَةً إِلَى ضَرُوْرَةِ نَفِيْرِ طَائِفَةٍ لِلْتَّخَصُّصِ فِي وَظِيْفَةٍ مِنَ الْوَظَائِفِ، وَهِيَ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ الْتَّفَقُّهِ فِي الْدِّيْنِ، وَالْعِلْمِ بِأَحْكَامِهِ مِنْ أَجْلِ تَعْلِيْمِ الْنَّاسِ، وَإِثْرَاءِ حَيَاتِهِمْ بِالْمَعَارِفِ وَالْعُلُوْمِ الْنَّافِعَةِ.

وَفِي سُوْرَةِ الْمُزَمِّلِ، الَّتِي نَزَلَ أَوَّلُهَا يَأْمُرُ الْمُسْلِمِيْنَ بِقِيَامِ الْلَّيْلِ، فَكَانَ وَاجِبًا عَلَيْهِمْ بِدَايَةً.

قَالَ تَعَالَى: چ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ چ[47].

وَكَانَ الْمُسْلِمُوْنَ، مَعَ رَسُوْلِ اللهِ ρ، يَقُوْمُوْنَ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِّ الْلَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ، وَكَانَ فِي ذَلِكَ مَشَقَّةٌ كَبِيْرَةٌ عَلَيْهِمْ، نَزَلَ آخِرَهَا يُخَفِّفُ عَنِ الْمُسْلِمِيْنَ، وَيُبَرِّرُ ذَلِكَ بِأَنَّ فِي الأُمَّةِ جَمَاعَاتٍ وَأَفْرَادًا لَهُمْ انْشِغَالاَتٌ وَانْتِشَارٌ فِي عِدَّةِ مَجَالاَتٍ وَتَخَصُّصَاتٍ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى:

چ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ چ[48].

وَفِي السُّنَّةِ الْنَّبَوِيَّةِ مَا يُشَجِّعُ وَيَغْرِسُ الْتَّوَجُّهَ نَحْوَ ثَقَافَةِ الْتَّخَصُّصِ، وَذَلِكَ حِيْنَ تُؤَكِّدُ عَلَى مَطْلَبِ الْجَوْدَةِ أَوِ الإِحْسَانِ، وَلاَ جَوْدَةَ وَلاَ إِتْقَانَ إِلاَّ بِالْتَّخَصُّصِ، فَاللهُ تَعَالَى، كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيْثِ، (كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَالْنَّبِيّ ρ دَعَا بِالْرَّحْمَةِ لِمَنْ عَمِلَ عَمَلًا فَأَتْقَنَهُ، وَمَعَ الْتَّخَصُّصِ وَالإِتْقَانِ هُنَاكَ تَأْكِيْدٌ إِسْلاَمِيٌّ عَلَى الاسْتِمْرَارِيَّةِ وَالْتَّرَاكُمِ، بِاعْتِبَارِ أَنَّ نَتِيْجَتَهَا الإِجْمَالِيَّةِ هِيَ الإِنْجَازُ وَالإِتْقَانُ، وَلِذَلِكَ فِي الْحَدِيْثِ: «**أَحَبُّ الْعَمَلِ إِلَى اللهِ أَدْوَمَهُ وَإِنْ قَلَّ**»[49].

لَكِنِ الاسْتِمْرَارِيَّةِ وَالْتَّرَاكُمِ مُرْتَبِطَةٌ بِالْوُضُوْحِ فِي الأَهْدَافِ، وَالْوَعْيِ الْوَاضِحِ بِالْسُّنَنِ وَمَسَاحَاتِ الْتَّأْثِيْرِ، وَأَلَّا يُصْبِحَ مَجَالُ الاهْتِمَامِ وَوَهْمِ الْشُّمُوْلِيَّةِ حَاجِزًا دُوْنَ الإِنْجَازِ فِي مَسَاحَةِ الْمُمْكِنِ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى، - كَمَا يَقُوْلُ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ، لَمْ يَأْمُرْ بِالْمُتَعَذِّرِ -، چ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ چ[50].

ثَقَافَةُ الْتَّخَصُّصِ وَتَشْجِيْعِهَا يَقْتَضِي الْتَّقْلِيْلَ مِنْ نَزَعَاتِ الْمَرْكَزِيَّةِ، وَتَعْزِيْزِ ثَقَافَةِ الْتَّفْوِيْضِ، وَالْتَّفْوِيْضُ يَعْنِي الْثِّقَةُ فِي الْكَفَاءَاتِ، وَإِفْسَاحُ الْمَجَالِ لِلْشَّبَابِ، فَالْمَرْكَزِيَّةُ الْمُفْرِطَةُ تَعْطِيْلٌ لِلْذَّاتِ وَتَعْطِيْلٌ لِلآخَرِيْنَ، بَيْنَمَا ثَقَافَةُ الْتَّخَصُّصِ تَفْسَحُ الْمَجَالَ لِلْتَّفْوِيْضِ وَظُهُوْرِ الْكَفَاءَاتِ، وَتَفْتَحُ الْسَّبِيْلَ لِلأَدَاءِ الْجَمَاعِيّ.

وَمِنْ هُنَا نَجِدُ لِبَعْضِ الْمُعَاصِرِيْنَ اهْتِمَامًا كَبِيْرًا بِتَخْصِيْصِ بَعْضِ الْجَوَانِبِ الْمُهِمَّةِ فِي الْسِّيْرَةِ الْنَّبَوِيَّةِ، وَجَمْعِ مَرْوِيَّاتِهَا عَلَى حِدَةٍ، وَهِيَ كَثِيْرَةٌ، مِنْهَا:

- **مَرْوِيَّاتُ غَزْوَةِ بَدْرٍ**، لِأَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْعَلِيْمِي بَاوَزِيْر.
- **مَرْوِيَّاتُ غَزْوَةِ أُحُدٍ**، لِحُسَيْنِ بْنِ أَحْمَدَ الْبَاكِرِيّ.
- **مَرْوِيَّاتُ غَزْوَةِ خَيْبَرَ**، لِعَوْضِ بْنِ أَحْمَدَ سُلْطَانِ الْشِّهْرِيّ.
- **مَرْوِيَّاتُ تَارِيْخِ يَهُوْدِ الْمَدِيْنَةِ فِي عَهْدِ الْنُّبُوَّةِ** لِأَكْرَمَ بْنِ حُسَيْنٍ عَلِيّ الْسِّنْدِيّ.
- **مَرْوِيَّاتُ غَزْوَةِ فَتْحِ مَكَّةَ** لِمُحْسِنِ بْنِ أَحْمَدَ الْدُّوْمِ.
- **مَغَازِي رَسُوْلِ اللهِ لِعُرْوَةَ بْنِ الْزُّبَيْرِ بِرِوَايَةِ أَبِي الأَسْوَدِ عَنْهُ**، حَقَّقَهُ الْدُّكْتُوْر مُحَمَّدُ مُصْطَفَى الأَعْظَمِيّ.
- **مَرْوِيَّاتُ غَزْوَةِ الْخَنْدَقِ** لِإِبْرَاهِيْمَ بْنِ مُحَمَّدٍ عُمَيْر.
- **مَرْوِيَّاتُ غَزْوَةِ حُنَيْنٍ**، لِلْدُّكْتُوْر إِبْرَاهِيْمُ قُرَيْبِيّ.
- **مَرْوِيَّاتُ غَزْوَةِ بَنِي الْمُصْطَلَقِ**، لِإِبْرَاهِيْمَ قُرَيْبِيّ.

([46]) سورة التوبة، الآية 122.

([47]) سورة المزمل، الآية 1- 4.

([48]) سورة المزمل، الآية 20.

(49) رواه مسلم في صحيحه، برقم (2818).

([50]) سورة الحج، الآية 78.

- **الْذَّهَبُ الْمَسْبُوْكِ فِي تَحْقِيْقِ رِوَايَاتِ غَزْوَةِ تَبُوْك**، لِعَبْدِ الْقَادِر حَبِيْبَ اللهِ الْسِّنْدِيّ.
- **مَرْوِيَّاتُ غَزْوَةِ الحُدَيْبِيَّةِ لِلْدُكْتُوْر** حَافِظُ بْنُ مُحَمَّدٍ الحَكَمِيّ.
- **الْمَغَازِيّ الْنَّبَوِيَّةِ لِلْزُّهْرِيّ**، لِلإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ شِهَابٍ الْزُّهْرِيّ حَقَّقَهُ وَقَدَّمَ لَهُ الْدُّكْتُوْر سُهَيْل زَكَّار.
- **مَغَازِيّ مُوْسَى بْنِ عُقْبَة**، لِأَبِي مَالِكٍ مُحَمَّدِ بَاقَشِش.
- **الْمَغَازِيّ الأُوْلَى وَمُؤَلِّفُوْهَا**، لِيُوْسُفَ هُوْفِنْش، تَرْجَمَةُ حُسَيْنُ نَصَّار.

وَهَكَذَا وَضَعَ هَؤُلاءِ الْبَاحِثُوْنَ هَذِهِ الْلَّبِنَةَ الَّتِي تُبَيِّنُ مَنْهَجِيَّةً مُوَفَّقَةً وَمُتَخَصِّصَةٍ فِي دِرَاسَةِ الْسِّيْرَةِ الْنَّبَوِيَّةِ وَمَرْوِيَّاتِهَا، وِفْقَ ضَوَابِطَ سَلِيْمَةٍ وَرُؤْيَةٍ نَاقِدَةٍ.

وَبِهَذَا الْمَنْهَجِ يُمْكِنُ اسْتِدْرَاكِ الْنَّقْص الْنَّاجِمِ عَنِ الْدِّرَاسَاتِ الإِنْشَائِيَّةِ الْمُرْتَجَلَةِ، الْبَعِيْدَةِ عَنِ الْتَّحْقِيْقِ وَالْبَحْثِ الْعِلْمِيّ، بهذه الْدِّرَاسَاتِ الْمُتَخَصِّصَةِ الْدَّقِيْقَةِ، وَيُصْبِحُ الْمَنْهَجَ الْدَّعَوِيّ الْتَّخَصُّصِي لِلْدُّعَاةِ أَكْثَرَ عُمْقًا وَتَأْثِيْرًا.

الْمَطْلَبُ السَّادِسُ: الْمَنْهَجُ الدَّعَوِيّ السِّلْمِيّ

الْمُسْلِمُوْنَ الْيَوْمَ مُطَالَبُوْنَ أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ وَقْتٍ مَضَى بِأَنْ يُحْسِنُوْا مُخَاطَبَةَ الْعَالَمِ، وَأَنْ يَلْتَفُّوْا حَوْلَ دِيْنِهِمْ، فَهْمًا وَوَعْيًا وَتَطْبِيْقًا، وَأَنْ يَعْلَمُوْا وَيَعُوْا كُلَّ مَا يَدُوْرُ وَيُخَطَّطُ مِنْ أَجْلِ مُحَاصَرَةِ هَذَا الْدِّيْنِ وَالإِسَاءَةِ إِلَى فَهْمِهِ، فَلاَ يَقِفُوْا مَوْقِفَ الْدِّفَاعِ فَقَطْ، بَلْ لاَ بُدَّ مِنْ تَجَاوُزِ ذَلِكَ بِلاَ يَأْسٍ إِلَى أَنْ يَدْعُوْا إِلَى اللهِ، فَمُعْظَمُ النَّاسِ فِي هَذِهِ الأَيَّامِ أَسْرَى لِمَا يُقَالُ وَيَزْعُمُهُ الإِعْلاَمُ الْعَالَمِيّ ضِدَّ الإِسْلاَمِ، وَرُبَّمَا أَسْهَمَ بَعْضُ الْمُسْلِمِيْنَ مِنْ خِلاَلِ اضْطِرَابِ خِطَابِهِمْ وَسُوْءِ فِعَالِهِمْ فِي إِثْبَاتِ بَعْضِ الْشُّبُهَاتِ حَوْلَ الإِسْلاَمِ، وَالْصَّدِّ عَنِ الْدِّيْنِ.

وَدَعْوَةُ الإِسْلاَمِ بِطَبِيْعَتِهَا سِلْمِيَّةُ الْتَّوَجُّهِ وَالْوَسِيْلَةِ وَالْغَايَةِ مُنْذُ انْطَلَقَ بِهَا الْدَّاعِيَةُ الأَوَّلُ مُحَمَّدٍ ρ.

وَظَلَّتِ الْدَّعْوَةُ عَلَى مَدَارِ الْتَّأْرِيْخِ، تَسْلُكُ طَرِيْقَهَا إِلَى قُلُوْبِ وَعُقُوْلِ الْمَدْعُوِّيْنَ، فِي جَوٍّ مِنَ الْسَّلاَمِ وَالأَمْنِ وَالاطْمِئْنَانِ، الَّذِي يَتَجَلَّى فِي أَقْوَالِ وَأَفْعَالِ وَوَسَائِلِ وَأَسَالِيْبِ الْدَّاعِيَةِ الْحَكِيْمِ وَكُلِّ بَرَامِجِهِ.

وَلأَسْبَابٍ كَثِيْرَةٍ ـ قَدْ يَكُوْنُ مِنْهَا الأَدَاءُ الْمُتَشَدِّدِ لِبَعْضِ المُنْتَمِيْنَ إِلَى الْدَّعْوَةِ ـ يُشَاعُ فِي هَذَا الْعَصْرِ ـ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا ـ أَنَّ الإِسْلاَمَ دِيْنُ الْعُنْفِ وَالإِرْهَابِ، وَأَنَّهُ انْتَشَرَ بِالْقُوَّةِ وَالْسَّيْفِ، وَالإِكْرَاهِ وَالْجَبْرِ؛ مِمَّا وَضَعَ دُعَاةَ الْعَصْرِ فِي دَائِرَةِ الْدِّفَاعِ عَنْ دَعْوَتِهِمْ أَمَامَ فِئَتَيْنِ مِنَ الْنَّاسِ:

* فِئَةُ الْمُثِيْرِيْنَ لأُسْلُوْبِ الْعُنْفِ مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ.
* فِئَةُ الْمُثِيْرِيْنَ لِلْشُّبُهَاتِ مِنَ الْحَاقِدِيْنَ عَلَى الإِسْلاَمِ، مِنْ غَيْرِ الْمُسْلِمِيْنَ.

وَمِنْ هُنَا بَدَأَتْ تَتَشَكَّلُ مَنْهَجِيَّةُ الْدَّعْوَةِ السِّلْمِيَّةِ لِمُوَاجَهَةِ هَاتَيْنِ الْفِئَتَيْنِ، وَلِلإِعْلاَنِ عَنْ صَرِيْحِ دَعْوَةِ الإِسْلاَمِ السِّلْمِيَّةِ وَالْحَكِيْمَةِ فِي الْدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ.

لَقَدْ كَانَ لِكِتَابَاتِ الْسِّيْرَةِ الْمُعَاصِرَةِ دَوْرٌ فَعَّالٌ فِي إِثْبَاتِ مَفْهُوْمِ الْسِّلْمِيَّةِ، وَالْتَّأْكِيْدِ عَلَى ارْتِبَاطِهِ الْوَثِيْقِ بِدَعْوَةِ الإِسْلاَمِ، وَذَلِكَ مِنْ خِلاَلِ ذِكْرِ الْدُّرُوْسِ وَالْعِبَرِ وَالْتَّحْلِيْلِ لِمُمَارَسَاتِ الْرَّسُوْلِ ρ الْدَّعَوِيَّةِ، فَعَرَضَتْ مَبَادِئَ الْدَّعْوَةِ وَنَشَرَتْ تَعَالِيْمَهَا فِي جَوٍّ مُفْعَمٍ بِالْحِكْمَةِ وَالْرَّحْمَةِ وَالْسَّكِيْنَةِ، ثُمَّ دَعَتْهُمْ لِلْتَّفْكِيْرِ وَإِعْمَالِ الْعَقْلِ، وَالْحِوَارِ وَالْنِّقَاشِ الْهَادِئ؛ مِمَّا حَرَّكَ فِطْرَتَهُمْ وَجَذَبَ أَرْوَاحَهُمْ، فَكَانَ الإِيْمَانُ الْصَّادِقُ الْمُسْتَقِرُّ فِي الْنُّفُوْسِ، الْمُتَجَذِّرُ فِي الْقُلُوْبِ وَالْعُقُوْلِ، الْمُتَرْجَمُ فِي الْوَاقِعِ عَمَلاً وَسُلُوْكًا.

وَمِنَ الأَمْثِلَةِ فِي هَذَا الْمَجَالِ: قِصَّةُ إِسْلاَمِ عِكْرِمَةَ بْنِ أَبِي جَهْلٍ τ .

يَقُوْلُ الْدُّكْتُوْر: فَتْحِي كَوْلن: (كَانَ عِكْرِمَةُ فِي عَدَائِهِ لِلإِسْلاَمِ، وَكَأَنَّهُ يَتَسَابَقُ مَعَ وَالِدِهِ، فَمَا مِنْ أَمْرٍ اشْتَرَكَ فِيْهِ وَالِدَهُ ضِدَّ الإِسْلاَمِ إِلاَّ اشْتَرَكَ فِيْهِ عِكْرِمَةُ.

وَمَعَ أَنَّ الْمُسْلِمِيْنَ فَتَحُوْا مَكَّةَ، وَأَسْلَمَ أَهْلُهَا إِلاَّ أَنَّ عِكْرِمَةَ بَقِيَ مُعَانِدًا فِي خُصُوْمَتِهِ لِلإِسْلاَمِ، وَقَاتَلَ الْمُسْلِمِيْنَ بِسَيْفِهِ، ثُمَّ هَرَبَ إِلَى الْيَمَنِ.

وَكَانَتْ أُمُّ حَكِيْمٍ بِنْتُ الْحَارِثِ زَوْجَتُهُ امْرَأَةً عَاقِلَةً، وَكَانَتْ قَدْ أَسْلَمَتْ، فَذَهَبَتْ إِلَى الْيَمَنِ، وَأَقْنَعَتْهُ بِالْرُّجُوْعِ إِلَى بَلَدِهِ.

وَعِنْدَمَا دَخَلَ عَلَيْهِ عِكْرِمَةَ، رَحَّبَ بِهِ الْنَّبِيُّ ρ قَائِلاً: "مَرْحَبًا بِالْرَّاكِبِ المُهَاجِرِ، مَرْحَبًا بِالْرَّاكِبِ الْمُهَاجِرِ"[51].

كَانَ هَذَا الْتَّرْحِيْبُ كَافِيًا لإِذَابَةِ جَلِيْدِ الْعَدَاوَةِ فِي قَلْبِ عِكْرِمَةَ. بَعْدَ أَنْ نَطَقَ بِالْشَّهَادَتَيْنِ، قَالَ لِلْنَّبِيِّ ρ وَهُوَ مُطَأْطِئُ الْرَّأْسِ حَيَاءً: "يَا رَسُوْلَ اللهِ! اسْتَغْفِرْ لِي فِي كُلِّ عَدَاوَةٍ عَادَيْتُكَهَا، أَوْ مَوْكِبٍ أَوْضَعْتُ فِيْهِ، أُرِيْدُ فِيْهِ إِظْهَارَ الْشِّرْكِ". فَرَفَعَ الْرَّسُوْلُ ρ يَدَيْهِ بِالْدُّعَاءِ: " اللَّهُمَّ أَغْفِرْ لِعِكْرِمَةَ كُلَّ عَدَاوَةٍ عَادَانِيْهَا، أَوْ مَوْكِبٍ أَوْضَعَ فِيْهِ، يُرِيْدُ أَنْ يَصُدَّ عَنْ سَبِيْلِكَ"[52].

فَمَا أَنْ سَمِعَ عِكْرِمَةَ هَذَا الْدُّعَاءِ حَتَّى اسْتَوْلَى عَلَيْهِ انْفِعَالٌ شَدِيْدٌ... إِذْ مَا كَانَ يُتَوَقَّعُ مِثْلَ هَذَا الاسْتِقْبَالُ وَهَذَا الْتَّرْحِيْبُ. فَقَالَ:

" أَمَّا وَاللهِ يَا رَسُوْلَ اللهِ، لاَ أَدَعُ نَفَقَةً كُنْتُ أَنْفَقْتُهَا فِي الْصَّدِّ عَنْ سَبِيْلِ اللهِ إِلاَّ أَنْفَقْتُ ضِعْفَهَا فِي سَبِيْلِ اللهِ، وَلاَ قَاتَلْتُ قِتَالاً فِي الْصَّدِّ عَنْ سَبِيْلِ اللهِ إِلاَّ أَبْلَيْتُ ضِعْفَهُ فِي سَبِيْلِ اللهِ".

وَبَرَّ عِكْرِمَةُ بِوَعْدِهِ، وَفِي مَعْرَكَةِ الْيَرْمُوْكِ جَادَ بِنَفْسِهِ وَاسْتُشْهِدَ فِيْهَا.

أَجَلْ لَقَدْ كَانَ رَسُوْلُ ρ حَرِيْصًا عَلَى هِدَايَةِ الْنَّاسِ، فَقَدْ كَانَ يُمَثِّلُ فِي الْدَّعْوَةِ وَفِي الْتَّبْلِيْغِ قِمَّةً لاَ يُمْكِنُ بُلُوْغِهَا. إِذْ مَدَّ يَدَهُ لِلآلاَفِ وَلِمِئَاتِ الآلاَفِ لِيَقُوْدَهُمْ إِلَى عَالَمِ الْنُّوْرِ وَالْهِدَايَةِ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ الاكْتِفَاء؛ لِذَا نَرَاهُ ρ يَمُدُّ يَدَ الْشَّفَقَةِ وَالْرَّحْمَةِ حَتَّى لِأَلَدِّ أَعْدَائِهِ[53].

---

(51) رواه البخاري في تاريخه الكبير (7/ الترجمة 217)، والترمذي (452/4 برقم 2735)، والطبراني في المعجم الكبير (17/ برقم 1021) والحاكم في المستدرك على الصحيحين، (396/6-395 رقم 5136)، وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ط الميمان، والمزي في تهذيب الكمال (248/20)، وفي إسناده موسى بن مسعود. قال الترمذي: موسى بن مسعود، ضعيف في الحديث. وينظر: ضعيف الترمذي للألباني برقم (518).

(52) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، (394/6 رقم 5134)، قال ابن حجر: قلت: فيه انقطاع، ففي هذا الخبر أن عكرمة توفي في خلافة أبي بكر، ولم يكن عروة إذ ذاك موجودًا.

(53) ينظر: النور الخالد محمد مفخرة الإنسانية، فتحي كولن، (199/1).

إِنَّ إِبْرَازَ مِثْلَ هَذِهِ الْمَوَاقِفِ الدَّعَوِيَّةِ وَالْحِكَمِ الْعَظِيْمَةِ فِي كِتَابَاتِ السِّيْرَةِ الْمُعَاصِرَةِ، يُبَيِّنُ الْمَنْهَجَ الرَّبَّانِيّ الصَّحِيْحِ، وَيَقْطَعُ الطَّرِيْقَ عَلَى كُلِّ مَنْ يَتَبَنَّى غَيْرَ طَرِيْقِ السِّلْمِ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ وَتَبْلِيْغِ دِيْنِ اللهِ لِغَيْرِ الْمُسْلِمِيْنَ، وَإِنْ كَانُوْا مِنَ الأَعْدَاءِ وَالْمُنَاوِئِيْنَ، وَيَدْعَمُ بِقُوَّةٍ مَنْهَجِيَّةَ الدَّعْوَةِ السِّلْمِيَّةِ فِي الْعَصْرِ الْحَاضِرِ.

فَإِذَا كَانَ الدَّاعِيَةُ فِي وَقْتِ التَّمْكِيْنِ يَمُدُّ يَدَهُ بِالْعَفْوِ وَالصَّفْحِ، وَيُفَضِّلُ الْهِدَايَةَ وَالْبَلاَغَ السِّلْمِيّ عَلَى الانْتِقَامِ لِلنَّفْسِ، فَمَاذَا عَسَاهُ أَنْ يَكُوْنَ فِي حَالِ الاسْتِضْعَافِ!؟.

يَقُوْلُ الدُّكْتُوْر: رَاغِبُ السَّرْجَانِيّ فِي كِتَابِهِ (الرَّحْمَةُ فِي حَيَاةِ الرَّسُوْلِ ρ):

(كَانَ رَسُوْلُ اللهِ ρ يَرْجُوْ الإِسْلاَمَ حَتَّى لِأَلَدِّ أَعْدَائِهِ؛ بِرُغْمِ شُرُوْرِهِمْ وَمَكَائِدِهِمْ.

هَا هُوَ يَخُصُّ بِالدُّعَاءِ رَجُلَيْنِ مِنْ أَلَدِّ أَعْدَائِهِ أَبَا جَهْلٍ وَعُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ـ قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ عُمَرُ ـ فَيَقُوْلُ: " اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلاَمَ بِأَحَبِّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ، بِأَبِي جَهْلٍ أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَكَانَ أَحَبَّهُمَا إِلَى اللهِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ"[54].

إِنَّ التَّأْرِيْخَ الطَّوِيْلَ مِنَ الصَّدِّ عَنْ سَبِيْلِ اللهِ، وَفِتْنَةِ الْمُسْلِمِيْنَ عَنْ دِيْنِهِمْ، لَمْ يُوْرِثْ فِي قَلْبِ الرَّسُوْلِ ρ شُعُوْرًا بِالانْتِقَامِ، أَوْ رَغْبَةً فِي الْكَيْدِ أَوِ التَّنْكِيْلِ، إِنَّمَا عَلَى الْعَكْسِ تَمَامًا، شَعَرَ بِأَنَّهُمْ مَرْضَى يَحْتَاجُوْنَ إِلَى طَبِيْبٍ، أَوْ حَيَارَى يَحْتَاجُوْنَ إِلَى دَلِيْلٍ، فَجَاءَتْ هَذِهِ الدَّعْوَةُ لَهُمْ بِالْهِدَايَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالنَّجَاةِ، كَانَتْ تِلْكَ هِيَ نَفْسِيَّتِهِ ρ، وَكَانَتْ تِلْكَ هِيَ سُنَّتَهُ وَطَرِيْقَتِهِ، وَكَانَتْ هَذِهِ هِيَ خَلْفِيَّاتُهُ وَمَرْجِعِيَّتُهُ فِي التَّعَامُلِ مَعَ النَّاسِ.. إِنَّ رَسُوْلَنَا الْكَرِيْمَ ρ كَانَ حَرِيْصًا كُلَّ الْحِرْصِ عَلَى إِيْصَالِ دَعْوَتِهِ إِلَى كُلِّ مَنْ هُوَ عَلَى غَيْرِ الإِسْلاَمِ؛ فَحَمَلَهَا إِلَى كُلِّ مُشْرِكٍ أَوْ يَهُوْدِيّ أَوْ نَصْرَانِيّ أَوْ مَجُوْسِيّ، وَكَانَ يَبْذُلُ قُصَارَى جُهْدَهُ فِي الإِقْنَاعِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، كَانَ يَحْزَنُ ρ حُزْنًا شَدِيْدًا إِذَا رَفَضَ إِنْسَانٌ أَوْ قَوْمٌ الإِسْلاَمَ، حَتَّى وَصَلَ الأَمْرُ إِلَى أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ نَهَاهُ عَنْ هَذَا الْحُزْنِ وَالأَسَى.

قَالَ تَعَالَى يُخَاطِبُهُ: چ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ چ[55].

وَيَقُوْلُ أَيْضًا: چ ں ں ڻ ڻ ڻ ۀ چ[56].

وَمَعَ شِدَّةِ هَذَا الْحُزْنِ إِلاَّ أَنَّ الرَّسُوْلَ ρ لَمْ يَجْعَلْهُ مُبَرِّرًا لِلْضَغْطِ عَلَى أَحَدٍ لِيَقْبَلَ الإِسْلاَمَ، إِنَّمَا جَعَلَ الآيَةَ الْكَرِيْمَةَ: چ ى ې ې ې ې ۉ ۉ چ[57] مَنْهَجًا لَهُ فِي حَيَاتِهِ، فَتَحَقَّقَ فِي حَيَاتِهِ التَّوَازُنَ الرَّائِعَ الْمُعْجِزَ، إِذْ أَنَّهُ يَدْعُوْ إِلَى الْحَقِّ الَّذِي مَعَهُ بِكُلِّ قُوَّةٍ، وَلَكِنَّهُ لاَ يَدْفَعُ أَحَدًا إِلَيْهِ مُكْرَهًا أَبَدًا)[58].

وَهَذَا تَمَامًا مَا يُوَافِقُ الْعَقْلَ وَالْمَنْطِقَ، وَيُثْبِتُهُ وَاقِعُ الاسْتِجَابَةِ الْفَرِيْدَةِ مِنَ الْمَدْعُوِّيْنَ، إِذْ هَلْ يُمْكِنُ أَنْ يَكُوْنَ السَّيْفُ وَالْقُوَّةُ سَبَبًا فِي انْتِشَارِ الْمَبَادِئِ وَذُيُوْعِهَا فِي الْعَالَمِيْنَ بِهَذِهِ السُّرْعَةِ الْمُذْهِلَةِ؟ وَمَنْ هَذَا الَّذِي يُمْكِنُ أَنْ يَحْمِلَ هَذِهِ الرِّسَالَةَ بِهَذِهِ الدِّقَّةِ الْمُتَنَاهِيَةِ، وَالسُّرْعَةِ الْفَائِقَةِ، وَالْحُبِّ الْعَمِيْقِ، وَالتَّفَانِيّ الْعَزِيْزِ؟

أَهُوَ الَّذِي حُمِلَ عَلَيْهَا بِالْقُوَّةِ وَالْقَهْرِ؟

أَمْ هَذَا الَّذِي لَمْ يُفْكِرْ وَلَمْ يَعْقِلْ مَرَامِيْهَا؟

إِنَّ مَنْهَجِيَّةَ الدَّعْوَةِ السِّلْمِيَّةِ هِيَ الَّتِي تُجِيْبُ عَنْ هَذِهِ الأَسْئِلَةِ، وَتَطْرَحُ نَفْسَهَا فِي عَالَمِ الدَّعْوَةِ الْمُعَاصِرِ كَأَصْلٍ أَصِيْلٍ، لاَ يُمْكِنُ لِلْدَّعْوَةِ أَنْ تَتَحَقَّقَ بِدُوْنِهِ فِي أَرْضِ الْوَاقِعِ، فَضْلاً عَنْ تَحْقِيْقِ المَكَاسِبِ وَزِيَادَةِ الاتْبَاعِ.

وَقَدْ أَثْبَتَتْ هَذِهِ الْمَنْهَجِيَّةَ الدَّعَوِيَّةَ السِّلْمِيَّةَ وُجُوْدَهَا الْفَعَّالَ فِي عِدَّةِ مَظَاهِرَ مِنْهَا:

ـ نَجَاحَاتُ الدَّعْوَةِ الْمُعَاصِرَةِ وَتَقَدُّمُهَا، أَصْبَحَ ذَلِكَ مَرْهُوْنًا بِقُدْرَةِ الدَّاعِيَةِ عَلَى نَشْرِ وَتَطْبِيْقِ الأَمْنِ وَالسَّلاَمِ الْفِكْرِيّ مَعَ مَدْعُوِّيْهَا أَثْنَاءَ حَدِيْثِهِ، وَحِوَارَاتِهِ، وَإِرْشَادَاتِهِ، وَتَوْجِيْهَاتِهِ، فَالدَّعْوَةُ تَعْرِفُ طَرِيْقَهَا السَّرِيْعِ إِلَى قُلُوْبِ الْمَدْعُوِّيْنَ، مَا وَجَدَ الدَّاعِيَةُ الْمُؤَهَّلِ بِالْفَهْمِ الْعَمِيْقِ لِطَبِيْعَةِ الرِّسَالَةِ فِي سِلْمِيَّتِهَا وَرَحْمَتِهَا لِلْعَالَمِيْنَ.

ـ اعْتِمَادُ كَثِيْرٍ مِنَ الدُّعَاةِ الْمُعَاصِرِيْنَ عَلَى الْعَاطِفَةِ وَالْعَقْلِ؛ لِتَحْقِيْقِ الْطَمَأْنِيْنَةِ الْقَلْبِيَّةِ عِنْدَ الْمَدْعُوِّ، بِمَا يُوَفِّرُ الْبِيْئَةَ الَّتِي تُسَاعِدُ عَلَى الْحِوَارِ الْحُرِّ، وَالتَّفْكِيْرِ الْمُتَأَنِّي، وَالْمُرَاجَعَةِ وَالسُّؤَالِ، وَالاقْتِنَاعِ الْهَادِئِ قَبْلَ اتِّخَاذِ قَرَارِ الاتْبَاعِ وَالالْتِزَامِ.

ـ إِنَّ حَرْبَ الْشَّائِعَاتِ الْشَّرِسَةِ ضِدَّ دَعْوَةِ الإِسْلاَمِ، تُعَدُّ دَلِيْلاً وَاضِحًا لإِثْبَاتِ مَنْهَجِيَّةِ السِّلْمِيَّةِ فِي الْدَّعْوَةِ، فَهُمْ يَرْمُوْنَهُ بِالْعُنْفِ وَالإِرْهَابِ، لِأَنَّهُمْ أَدْرَكُوْا أَنَّ نَجَاحَاتِ الإِسْلاَمِ الْكُبْرَى، إِنَّمَا سَبَبُهَا مَا يُشِعُّهُ هَذَا الإِسْلاَمَ مِنْ سَلاَمٍ اجْتِمَاعِيّ، وَأَمْنٍ فِكْرِيّ، وَصَفَاءٍ رَوْحَانِيّ.

ـ اهْتِمَامُ كَثِيْرٍ مِنْ أَعْلاَمِ وَقَادَةِ الْدَّعْوَةِ الْمُعَاصِرَةِ بِالْتَّصَدِّي لِبَعْضِ مَنْ يَنْتَمُوْنَ إِلَى الْدَّعْوَةِ مِمَّنْ يُصِرُّوْنَ عَلَى الْتَّصَرُّفَاتِ الْجَافَّةِ، وَالأَفْعَالِ الْعَنِيْفَةِ، وَالأَقْوَالِ الْغَلِيْظَةِ، وَالَّتِي كَانَ مِنْ أَثَرِهَا أَنِ اتُّهِمَتْ دَعْوَةُ الإِسْلاَمِ بِالْعُنْفِ وَالإِرْهَابِ وَالْتَّرْوِيْعِ وَالْتَّهْدِيْدِ.

---

(54) رواه ابن سعد (267/3)، وأحمد (95/2 ، رقم 5696) ، وعبد بن حميد (ص 245 ، رقم 759) ، والترمذي (617/5 رقم 3681) وقال : حسن صحيح غريب، وأبو نعيم في الحلية (361/5) حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(55) سورة الشعراء الآية: 3.

(56) سورة فاطر الآية: 8.

(57) سورة البقرة الآية: 256.

(58) ينظر: الرحمة في حياة الرسول ρ، د. راغب السرجاني، ص215.

ـ إِقَامَةُ الْدَّوْرَاتِ الْعَمَلِيَّةِ الْمُعَاصِرَةِ الَّتِي مِنْ خِلاَلِهَا يُمَارِسُ الْدُّعَاةُ مَعَ بَعْضِهِمْ الْبَعْضِ الْحِوَارَ وَالْنِّقَاشَ، وَالْعَرْضَ وَالْتَّحْلِيْلَ، وَالْنَّقْدَ وَالْتَّعْلِيْقَ، فِي جَوٍّ مِنَ الْسَّلاَمِ وَالأَمَانِ، مِمَّا أَمْكَنَ الْدُّعَاةَ مِنْ مُمَارَسَتِهِ وَتَطْبِيْقِهِ مَعَ مَدْعُوِّيْهِمْ فِي مَوَاقِفَ الْدَّعْوَةِ الْعَمَلِيَّةِ، ذَلِكَ أَنَّ مَالِكَ الْشَّيْءِ هُوَ الأَقْدَرُ عَلَى أَنْ يَمْنَحَهُ لِلآخَرِيْنَ.

هَذِهِ هِيَ بَعْضُ الْمَنْهَجِيَّاتِ الْدَّعَوِيَّةِ الَّتِي سَاهَمَتْ كِتَابَاتُ الْسِّيْرَةِ الْمُعَاصِرَةِ فِي إِبْرَازِهَا وَدَعْمِهَا وَالْمُسَاعَدَةِ عَلَى تَطْبِيْقِهَا، وَلاَ زَالَتْ هُنَاكَ مَنْهَجِيَّاتٍ أَكْثَرَ مِمَّا ذُكِرَ؛ بَعْضُهَا فِي طَوْرِ الْنَّشْأَةِ وَبَعْضُهَا فِي طَوْرِ الْتَّعْرِيْفِ وَالْشُّيُوْعِ فِي مُحِيْطِ الْدَّعْوَةِ الْحَدِيْثَةِ، خَاصَّةً بَعْدَ أَحْدَاثِ الْثَّوْرَاتِ وَالْتَّغْيِيْرَاتِ الَّتِي تَشْهَدُهَا بَعْضُ بُلْدَانِ الْمُسْلِمِيْنَ فِي الآونَةِ الأَخِيْرَةِ، وَالَّتِي جَرَّ عَلَيْهَا مِنَ الْمَنَاهِجِ الْدَّعَوِيَّةِ الْفَاسِدَةِ وَالْمُضْطَرِبَةِ، مَا كَانَ وَبَالاً وَسَبَبًا فِي أُفُوْلِ شَمْسِ الْدَّعْوَةِ وَالْدُّعَاةِ، وَالْخَوْفِ وَالْقَلَقِ الَّذِي يَمْنَعُ مَعَهُ نَشْرُ الْعِلْمِ وَالْدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ تَعَالَى.

الْخَاتِمَةُ:

نَخْلُصُ مِنْ هَذِهِ الْدِّرَاسَةِ إِلَى الْنَّتَائِجَ الْتَّالِيَةِ:

1- إِنَّ الْكِتَابَةَ الْمُعَاصِرَةَ فِي الْسِّيْرَةِ الْنَّبَوِيَّةِ قَدْ تَنَوَّعَتْ عَلَى مَنَاهِجَ عِدَّةٍ، وَمَشَارِبَ شَتَّى، وَحَاوَلَ كُلُّ مَنْهَجٍ تَوْظِيْفَ الْسِّيْرَةِ الْنَّبَوِيَّةِ وَتَطْوِيْعِهَا حَسَبَ الْوَاقِعِ الَّذِي يَعِيْشُهُ وَالأَحْدَاثِ الَّتِي يَشْهَدُهَا، وَهَذِهِ الْكِتَابَاتِ يُكَمِّلُ بَعْضَهَا بَعْضًا، وَهِيَ بِحَاجَةٍ إِلَى مَزِيْدِ اهْتِمَامٍ مِنْ قِبَلِ الْبَاحِثِيْنَ وَالْدَّارِسِيْنَ الْمُعَاصِرِيْنَ كِتَابَةً وَتَحْلِيْلاً وَنَقْدًا، لِبَيَانِ جَمَالِ هَذِهِ الْسِّيْرَةِ الْعَطِرَةِ وَحِفْظًا لِلْسِّيْرَةِ الْنَّبَوِيَّةِ مِنَ الْتَّحْرِيْفِ وَالْتَّكْذِيْبِ، وَبَيَانًا لِلْحَقِّ وَإِقَامَةً لِلْحُجَّةِ.

2-اقْتَصَرَتْ هَذِهِ الْدِّرَاسَةُ عَلَى سِتَّةِ مَنَاهِجَ رَئِيْسَةٍ فِي كِتَابَاتِ الْمُعَاصِرِيْنَ لِلْسِّيْرَةِ الْنَّبَوِيَّةِ، وَيُمَثِّلُ قَاسِمًا مُشْتَرَكًا بَيْنَهَا وَهُوَ: الْعَمَلُ الْجَادُّ لِهَذَا الْدِّيْنِ، وَإِحْيَاءُ وَقَائِعَ الْسِّيْرَةِ الْنَّبَوِيَّةِ فِي قُلُوْبِ الْنَّاسِ، وَقَدْ حَاوَلْتُ تَتَبُّعَ كُلِّ مَنْهَجٍ وَمَفْهُوْمَهُ وَطَرِيْقَتَهُ وَاسْتِدْلاَلاَتِ كُتَّابِهِ مِنَ الْمُعَاصِرِيْنَ وَتَسْلِيْطِ الْضَّوْءِ عَلَى كِتَابَاتِهِمْ مَالَهَا وَمَا عَلَيْهَا، كُلّ ذَلِكَ بِإِيْجَازٍ وَمِنْ غَيْرِ تَطْوِيْلٍ.

3- وُجُوْبُ الْسَّعْيِ الْحَثِيْثِ فِي اسْتِنْبَاطِ الْوَقَائِعَ وَالأَحْدَاثِ مِنْ بُطُوْنِ دَوَاوِيْنِ الْسِّيْرَةِ الْنَّبَوِيَّةِ الْقَدِيْمَةِ وَتَقْدِيْمِهَا لِلْنَّاسِ فِي أَبْهَى صُوْرَةٍ وَأَجْمَلَ حُلَّةٍ، بَعِيْدًا عَنْ لَيِّ أَعْنَاقِ الْنُّصُوْصِ وَتَطْوِيْعِهَا لِمَقَاصِدَ مُنْحَرِفَةٍ وَأَجِنْدَةٍ مُغْرِضَةٍ.

4- أَهَمِّيَّةُ الْتَّكَامُلِ بَيْنَ هَذِهِ الْمَنَاهِجِ وَالاهْتِمَامِ بِهَا جَمِيْعًا، وَمُحَاوَلَةِ تَطْبِيْقِهَا فِي الْحَيَاةِ بِشَكْلٍ مُتَكَامِلٍ، وَالأَخْذِ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا بِسَهْمٍ وَافِرٍ.

فهرس المراجع

- أبعاد إدارية واقتصادية واجتماعية وتقنية في السيرة النبوية، عبد العزيز إبراهيم العمري، ط أولى، 1426هـ، 205م، مكتبة الملك فهد الوطنية.
- الإدارة المعاصرة، ديفد رتشمان، ترجمة. د. محمد الرفاعي، ومحمد سيد عبد المتعال، دار المريخ، الرياض.
- الأساس في السنة وفقهها، القسم الأول السيرة النبوية، سعيد حوى، ط ثالثة، 1416هـ - 1995م، دار السلام .
- أساسيات الإدارة والتنظيم، لمحمد عبد الله عبد الرحيم، الطبعة الثالثة 1431، 1992م، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف.
- تهذيب سيرة ابن هشام: عبد السلام هارون، ط3، نشر المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر، القاهرة، سنة 1396هـ، 1976م.
- تهذيب سيرة ابن هشام: عبد السلام هارون، ط3، نشر المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر، القاهرة، سنة 1396هـ، 1976م.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد ومحمود شاكر، طبع دار المعارف في مصر.
- الجامع الصحيح، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري المتوفى سنة 356هـ، رقم كتبه وأبوابه: محمد فؤاد عبدالباقي، طبع المطبعة السلفية بالقاهرة، سنة 1400هـ.
- الجامع الصحيح، لمحمد بن عيسى الترمذي المتوفى سنة 275هـ، تحقيق وتخريج: محمد فؤاد عبدالباقي، طبع دار الكتب العلمية في بيروت سنة 1408هـ.
- الرحمة في حياة الرسول ρ، للدكتور: راغب السرجاني، بحث مقدم لجائزة معالى السيد حسن عباس الشربتلي، بإشراف رابطة العالم الإسلامي.
- السيرة النبوية الصحيحة للدكتور أكرم ضياء العمري مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة المملكة العربية السعودية الطبعة الخامسة 1413هـ - 1993م .
- السيرة النبوية دراسة تحليلية لمحمد عبد القادر أبو فارس، دار الفرقان عمان الأردن الطبعة الأولى 1418هـ 1997م.
- السيرة النبوية دروس وعبر ، مصطفى السباعي، ط الثامنة 1405هـ - 1985م المكتب الإسلامي بيروت.
- السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، على الصلابي، ط7 1429هـ - 208م دار المعرفة بيروت لبنان.
- صحيح مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري المتوفى سنة 261هـ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، طبع دار إحياء التراث الكتب العربية، الطبعة الأولى، عام 1385هـ، عيسى البابي الحلبي.
- صحيح مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري المتوفى سنة 261هـ، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، طبع دار إحياء التراث الكتب العربية، الطبعة الأولى، عام 1385هـ، عيسى البابي الحلبي.
- الطبقات الكبرى، لمحمد بن سعد بن منيع البصري الزهري المتوفى سنة 230هـ ، نشر دار صادر في بيروت.
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (ت 852هـ)، ط. السلفية، القاهرة، 1380هـ .
- فقه السيرة لمحمد الغزالي ، خرج أحاديثه الشيخ ناصر الدين الألباني، منشورات أعلام المعرفة (د.ت).
- فقه السيرة، منير الغضبان، دار الفكر، دمشق، ط11، 1423هـ / 2003م.
- لسان العرب، لابن منظور، الطبعة الأولى 1374هـ - 1955م ، دار صادر بيروت .
- محمد رسول الله ρ منهج ورسالة – بحث محقق، بقلم محمد الصادق إبراهيم عرجون، ط الثالثة 1430ه- 2009م، دار القلم.
- المسند، للإمام أحمد بن حنبل، طبع بإشراف د. عبد الله عبد المحسن التركي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومجموعة من المحققين، طبع مؤسسة الرسالة في بيروت (1421-1413هـ).
- المعجم الكبير للطبراني سليمان بن أحمد (ت 360هـ)، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1422هـ / 2002م.
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، المطبعة السلفية.
- المنهج التربوي للسيرة النبوية، منير الغضبان، مطبعة دار الوفاء .
- المنهج الحركي للسيرة النبوية، منير الغضبان، ط السادسة، ط 1411هـ - 1990م مكتبة المنار الأردن.
- الموافقات، للشاطبي، (238/5)، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الأولى 1417هـ/ 1997م.
- النور الخالد محمد ρ مفخرة الإنسانية، محمد فتح الله كولن، ط أولى 1999، دار النيل مؤسسة الرسالة.
- نور اليقين في سيرة خير المرسلين ، محمد الخضري، ط أولى 1425هـ دار المعرفة، بيروت لبنان.

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
1	المقدمة	
2	مَنَاهِجُ الدَّعْوَةِ مِنْ خِلَالِ كِتَابَاتِ السِّيْرَةِ الْمُعَاصِرَةِ	
3	الْمَطْلَبُ الأوَّلُ: الْمَنْهَجُ الدَّعَوِيّ التَّرْبَوِيّ	
4	الْمَطْلَبُ الثَّانِي: الْمَنْهَجُ الدَّعَوِيّ الشُّمُوْلِيّ	
5	الْمَطْلَبُ الثَّالِثُ: الْمَنْهَجُ الدَّعَوِيّ الاسْتِيْعَابِيّ	
6	الْمَطْلَبُ الرَّابِعُ: الْمَنْهَجُ الدَّعَوِيّ التَّخْطِيْطِيّ	
7	الْمَطْلَبُ الخَامِسُ: الْمَنْهَجُ الدَّعَوِيّ التَّخَصُّصِيّ	
8	الْمَطْلَبُ السَّادِسُ: الْمَنْهَجُ الدَّعَوِيّ السِّلْمِيّ	